روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

٥

سرّ كتاب الموتى

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم تكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرُق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى توُدَة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

سرّ كتاب الموتى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

تعلق قرص الشمس المتناقص .. فوق الأفق المنخفض ..
مثل عين هائلة .. شريرة .. ملتهبة ..
أما الضوء الذى كان يبين أشباح المبانى الشاهقة ..
فكان إشعاعًا قويًا نقيًا .. من ملايين النجوم المتجاورة ..
خطا (شريف مجدى) إلى خارج باب مبنى مرفأ الهبوط ..
وتفحص ما حوله فى دهشة ..
كان قد خدم فى سفن الفضاء طوال عشرين عامًا ..
دون أن يشاهد محطة فضاء الطوارئ .. أو حتى تتوافر له الرغبة فى ذلك ..

لقد أنشئت فوق كويكب (سيريس) فى المدار بين كوكبى المريخ والمشترى .. على السطح المسوّى لكتلة صخرية .. وعرة ..

وفيها تخترق قبة شفافة .. منصة هبوط واسعة تضم مهبطًا عنكبوتيًا كبيرًا بما يكفى .. لاحتواء أكبر سفينة فضاء ..

كانت منصة الهبوط ترتكز على وسادات هوائية .. ناتجة عن مجالات مغناطيسية هائلة تطلقها أجهزة فائقة التوصيل من مادة الباريوم .. يسرى فيها التيار الكهربائى دون أن يفقد أيًا من قوته .. كما يحدث فى أثناء مروره فى سلك النحاس ..

وفى مثل هذه الجاذبية الضعيفة فوق الكويكب .

كان الخطر المحدق ليس انهيار محطة الفضاء .. فحسب ..

وإنما أن صدمة الهبوط غير البارع .. قد تسبب قذف المحطة برمتها إلى الفضاء ..

كانت عنابر الصيانة والمخازن ذات شكل بيضاوى ..
تلتف حول أماكن تثبيت منصة الهبوط ..
ووراءها توجد مقار الإيواء الدائرية البلورية ..
كان كتيب الطوارئ قد وعد بتدبير أماكن إقامة تكفى لألف شخص من القادمين إلى محطة الفضاء ..

رمق (شريف مجدى) هذه المبانى الضيقة بنظرة ازدراء .. وهدر قائلًا :

ـ المخادعون !

برغم أنه لم يستطع أن يوضح سبب اهتمامه بهذا الأمر ..
إذ لم يكن هناك بمحطة الفضاء كلها سواه ..
لقد تضمنت سجلات المحطة عشر حالات وصول سابقة .. طوال فترة عشرين عامًا ..
وجميعها لأطقم الصيانة والتموين ..
لم يزعج محطة الفضاء هذه .. أو يطأها إنسان بقدميه ..
ما عدا بالنسبة لهذه الفحوصات السريعة والمتباعدة .. التى لم يكن لها أى داع ..

كانت كل النفقات الضخمة والتخطيط الدقيق .. الذى بذل فى صنع هذه المحطة ..

لهدف واحد هو تشبث قارب نجاة فضائى .. بمنارة الإنقاذ بها .
وفى النهاية يخرج منه إلى جو محطة الفضاء الذى يساعد على الحياة .. أى رائد فضاء تحطمت سفينته واستطاع النجاة ..
والوصول إلى محطة الفضاء لطلب النجدة .. من مركز المتابعة فى كوكب المريخ ..

وكان أول رائد فضاء تحطمت سفينته بسبب شلال من الشهب بالقرب من المحطة ..

هو (شريف مجدى) ..

★ ★ ★

جثم قارب النجاة الفضائى فى نهاية منصة الهبوط ..

مثل حيوان صغير متطفل .. على حشرة خيالية عملاقة ..

أحكمت أصابع (شريف مجدى) ـ الراكب الوحيد ـ وضع الياقة المحكمة .. لرداء الفضاء ..

شعر فجأة بالقنوط والإحباط ..

كان يعلم كل ما سوف يجده فى محطة الفضاء ..

لأن كتيب الطوارئ وصفه بتفصيل تام ..

ولكن فى غضون الساعات الطويلة من عزلته العقيمة .. بدأ يفكر فى هذا المكان ليس كمحطة فضاء فى الطريق .. يمكن الوصول إليها بغية النجاة ..

ولكن كمكان ينتظره .. كلاجئ إليه من الفضاء السحيق ..

يرحب به بدفء .. ويحسن ضيافته ..

بيد أنه لم يكن هناك سوى .. العزلة التامة ..

أدى هبوط قارب النجاة إلى بث الحياة فى محطة الفضاء .. وإخراجها من نعاسها ..

كان الهواء خارج مبنى مرفأ الهبوط .. قد أصبح أدفأ بكثير مما كان عليه وقت وصوله إلى محطة الفضاء ..

وظهرت فجأة آلة ضخمة للتنظيف .. مرت بجانبه .. وهى تبحث فى أناة عن أية قاذورات أو شوائب .. ربما يكون قد جلبها معه ..

تحرك (شريف) بخطوات وئيدة .. فى اتجاه أقرب مقر للإقامة ..

كان ما يزال يتأمل فى دهشة ..

القباب البلورية .. والأجهزة الهائلة .. والقاعات الضخمة ..

لفت نظره حركة على يساره ..

ولكنها لم تكن سوى آلة تنظيف أخرى .. رمقها للحظات ثم أدار رأسه ..

ولم تمر دقائق حتى حدث ما جعله يجمد فى مكانه بلا حراك ..

مفاجأة مذهلة ..

إذ كان هناك شخص ما .. واقف بالقرب من مدخل مقر الإقامة ..

المفروض ألا يكون فى محطة الفضاء .. إلا الروبوتات التى تقوم على خدمة اللاجئين إليها ..

وقبل أن يعى عقل (شريف) المصعوق .. ما رأته عيناه ..

أسرع هذا الشخص الغريب .. الخُطا إلى الأمام .. وثيابه البالية تخفق .. فى الهواء المنقى من كل تلوث ..

تقهقر (شريف) إلى الوراء ..

وارتفعت يداه المرتعشتان للدفاع عن نفسه .

إلا أن الرجل أقبل عليه ..

ثم ركع على ركبتيه أمامه ..

وهو يتفادى النظر إليه .. وقال بصوت هامس .. متوسل .. كالأنين :

ـ أيها الكاهن المقدس .. امنحنى بركاتك !

ردد (شريف) فى ذهول :

ـ بركاتى !

وأدرك أن الرجل .. ربما أخطأ فى تأويل زيه الرسمى الفضائى .. وحسبه من رجال الدين ..

ولكن لماذا يناديه بلقب .. الكاهن المقدس ؟

تراجع (شريف) خطوة أخرى إلى الوراء ..

وهو ينظر بدهشة بالغة إلى الرجل النحيف ..

كان ثوبه ممزقًا .. وباليًا ..

وغطاء رأسه مزريًا .. يشبه القلنسوة الرثة ..

وفى قدميه .. صندل جلدى ذو شكل قبيح ..

كان يبدو كشخصية .. كاريكاتورية .. شيطانية ..

أدرك (شريف) أن هذا الرجل مختل عقليًا ..

وبرغم أنه لا يعرف ما الذى أتى به إلى محطة الفضاء ..

كان الرجل يركع فى صبر .. ينتظر ساكنًا ..

هتف (شريف) وقد رفع حاجبيه دهشةً :

ـ لست كاهنًا مقدسًا ! لقد انفجرت سفينتى الفضائية (المجرّة) منذ عدة أيام .. وأعتقد أننى الوحيد الذى نجوت .. استطعت ركوب أحد قوارب النجاة الفضائية .. وجئت إلى هنا ..

صمت للحظات ..

وأخذ يحدق فى الرجل ليعرف تأثير كلماته عليه .. ثم أردف قائلًا :

ـ ... هذا كل ما فى الأمر !

تريث قليلًا ثم تساءل :

ـ .. ما الذى تفعله أنت هنا ؟ المفروض أن تقوم بالخدمة فى محطة الفضاء ..

مجموعة من الروبوتات ..

رفع الرجل عينيه الحمراوين ببطء ..

بدا وجهه متقدمًا فى السن .. وبشرته داكنة .. مرتعشة .. ومتوترة ..

وأخذت عيناه المتسعتان تحدقان بلا أى تعبير .. فى ضوء النجوم الخافت ..

كان يسند ذراعه الأيسر المنحنى أمامه .. بشكل غير مريح ..

قال بصوت هامس وهو يرتعد .. وقد شحب لونه :

ـ أيها الكاهن المقدس ! هل جئت لتمنحنا بركاتك فى المعبد الكبير ؟!

نفد صبر (شريف) تمامًا .. صرخ قائلًا :

ـ يا مجنون .. يا معتوه .. لقد قلت لك .. إن سفينتى الفضائية تحطمت فى حادثة .. ألا تفهم ؟

قال الرجل بنفس الصوت الخافت .. الممتلئ بالرهبة :

ـ لم تكن حادثة ! بل أرسلك المعبود (أخناتون) إلينا !

ردد (شريف) فى ذهول :

ـ المعبود (أخناتون) ! هل مازلت تعيش فى عصر الفراعنة .. منذ آلاف السنين ! إنك مجنون دون شك ..

صمت قليلًا ثم أردف :

ـ .. أخبرنى .. هل هناك آخرون فى محطة الفضاء ؟

رد الرجل بضعف :

ـ بالطبع .. شعبى !

وفى تلك اللحظات .. صرّت بجوارهما آلة تنظيف ..
حنى الرجل كتفيه .. وربت عليها برقة ..
فتوقفت .. ثم أصدرت صريرًا فوق الأرض .
قال الرجل فى تواضع :
ـ هذه .. أحد أفراد شعبى !
ذهل (شريف) .. وقد سرت البرودة فى أوصاله :
ـ الآلات !
ولم يستطع الكلام .. فقط أخذ يحدق فى الرجل المجنون الذى ما زال يركع أمامه .. فى خشوع .. ووجل ..

اخيرا .. همس الرجل فى صوت مكتوم لا يكاد يسمع :

ـ قال الفليسوف المصرى القديم (فتاح حتب) من الأسرة الخامسة .. ما أعظم الإنسان الذى يهتدى إلى الحق ..!
صرخ (شريف) وقد انتابه رعدة عصبية :
ـ أى حق أيها المعتوه ! المساواة بين الإنسان .. والآلة !!
نظر الرجل إلى الأرض وتمتم قائلًا :
ـ قال الحكيم (خونو حتب) منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام .. لا تنطق بالشر فتعود عاقبته عليك !
ثم رفع عينيه .. ونظر بخضوع إلى (شريف) .. وهمس :
ـ يا كاهن (أخناتون) ! امنحنى بركاتك !
كانت النشوة الواضحة .. والبهجة فى صوت الرجل .. وعمق التوقير الصامت فى عينيه .. والموقف المستحيل ..
تثير (شريف) بشكل غريب ..
وعرف أنه سوف يعتبر ذلك فيما بعد .. وحتى نهاية حياته ..
عملًا وضيعًا .. فى مواجهة رجل مجنون .
ولكنه طرح عليه بركاته ..
أومأ بحركات مبهمة .. كالتى شاهدها ذات شتاء على معبد الكرنك بالأقصر ..
ونطق بعبارات نصف منسية من الذاكرة المدفونة .. لفترة طفولته .. منذ أيام دراسته للتاريخ المصرى القديم ..
سار (شريف) حول الرجل .. وأسرع الخطا تجاه مقر الإقامة ..
لم ينظر خلفه حتى وصل إلى باب الدخول ..

أما الرجل النحيف .. فقد نهض بعد فترة .. ثم سار ببطء فى الاتجاه المضاد .. وهو ما يزال يمسك بذراعه اليسرى المنثنية فى وضع صعب أمامه ..

وكان ثلاث من الروبوتات .. تصدر صريرًا خافتًا .. وهى تتبعه .. فى صف واحد ..

تمتم (شريف) فى سخرية بالغة :

ـ شعبه !!

اختار غرفة نومه بالقرب من المدخل ..

وكان أول ما اهتم به .. باب الغرفة ..

ليتأكد من أنه يغلق .. بقفل إلكترونى ..

* * *

كان مقر الإقامة فوق محطة فضاء الطوارئ .. وحدة قائمة بذاتها .. كاملة .. بمحبس لغلق دخول الهواء لتأمين ساكنيها ..

فى حالة حدوث تلف .. أو انهيار فى القبة الشفافة التى تحيط به ..

كان أكثر ما يشغل بال (شريف) هو أخذ حمام ساخن .. لذلك قبع فى الماء الدافئ ساعة كاملة .. وهو ينظف جسده من كل ما علق به فى رحلته الطويلة فى الفضاء ..

بينما تقوم آلة التدليك بالتعامل مع عضلاته المرهقة .. ببراعة تامة .. وتلقت آلة الملابس زيه المتسخ .. وأعادته له نظيفًا تمامًا .. ومكويًا .. بعد عدة دقائق ..

وقامت آلة التوزيع بتقديم ثلاث مجموعات كاملة من الملابس الجديدة .. حسب مقاسه ..

ارتدى واحدة منها .. وحمل الاثنتين الأخريين .. وزيه الرسمى .. إلى مخدعه .. ووراءه آلة التنظيف .. تزيل آثار أقدامه ..

وفراشه الذى اختبره بسرعة .. وبلا مبالاة ..

أعيد ترتيبه بوساطة روبوت منزلى ..

وخطر لـ(شريف) أن « شعب » الرجل المجنون .. ليس قليل العدد على الإطلاق ..

وبينما كان يفتح أحد الأدراج .. ليضع ملابسه الجديدة .. وجد كتابًا عليه نقوش ورسومات وأدعية .. فرعونية كتاب الموتى ..

تساءل فى ذهول :

ـ ما الذى أتى بكتاب الموتى الفرعونى إلى هنا .. على بعد ملايين الكيلومترات من كوكب الأرض ؟

كان (شريف) يعلم أن كتاب الموتى هو من أهم ما تركه الفراعنة .. منذ آلاف السنين .. ذلك أن كل مصرى قديم كان يهتم بحياته الأبدية بعد الموت .. فيوضع معه فى قبره كتابة منقوشة على أوراق البردى .. أو على تابوته .. تشتمل على أناشيد وأدعية يتلوها الميت ـ فى اعتقادهم ـ لتبعد عنه الأخطار والعثرات التى قد تصادفه فى طريقه .. وتسهل له طرق السعادة فى العالم الثانى ..

وبحث (شريف) فى الغرف الأخرى بمقر الإقامة .. ولدهشته البالغة ..
وجد كتاب الموتى .. فى كل غرفة ..
إستوى على حافة مقعد بغرفته .. وقد اشتد به الارتباك .. وتساءل :
ـ لماذا كتاب الموتى بالذات ؟
لم يكن هناك مجال لأى تجربة فردية .. شخصية ..
وكان السؤال الحقيقى هو : لماذا كان الرجل المجنون ملقى هنا بمفرده .. فى وضع يائس ؟
ولماذا لم يطلب النجدة من مركز المتابعة فى كوكب المريخ ؟

★ ★ ★

كان على (شريف) أن يكسر الختم .. ويجذب ذراعًا ..
لكى تبدأ محطة الفضاء فى بث إشارة الخطر ..
حتى تصل النجدة ..
بعد بضعة أيام .. أو أسابيع .. أو شهور ..
ولن يسرع أحد فى الحضور .. لأنه من العجيب أن إشارة الخطر الصادرة من أى محطة فضاء للطوارئ ..
لا تعنى حالة طوارئ عاجلة ..
إذ يمكن أن يقيم راند الفضاء بالمحطة .. لمدة عام أو أكثر بدون أى متاعب سوى الوحدة .. والملل ..
وجد (شريف) الختم غير مكسور ..
إذن لابد أن الرجل المجنون .. كان موجودًا هنا .. منذ وصول آخر سفينة فضاء للصيانة .. منذ خمسة أعوام مضت ..

★ ★ ★

قدمت إحدى قاعات مقر الإقامة .. معلومة مفيدة أخرى ..
عن سر كتاب الموتى الفرعونى ..
فقد كانت مزينة بالرسومات الملونة التى تصور الحياة .. والمعتقدات فى مصر القديمة .. نساء راقصات يتمايلن على إيقاع التصفيق ..
تلبسن الثياب البيضاء .. وتضعن على رءوسهن أكاليل الزهور .. وضاربات على الطبول ..
بينما الرجال برءوسهم المحلوقة .. يحملون بأيديهم عصيا من الخيزران يلوحون بها فى الهواء .. جهة اليمين وجهة اليسار ..
لطرد الأرواح النجسة !
حفلة مأتم لأحد الأمراء .. وفيها إمرأتان تقدمان للميت أوانى معدنية مملوءة زهورًا .. وعطرًا ..
وثلاث نسوة يرقصن .. ويعزفن على آلات موسيقية ..
(سخمتن) .. إلهة الحرب والقتال .. برأس لبؤة .. وإلى جانبها قرص الشمس .. (بستيت) .. معبودة لها رأس قطة وتحمل بيدها آلة طرب ..
(ست) .. وحش مفترس بعض أجزائه تشبه الأسد .. وبعضها كالتمساح .. وجاموس البحر ..
(حورس) .. إله الشمس ..
(أوزوريس) .. إله الأموات ..
(إيزيس) .. رمز تربة النيل الخصبة ..

كل الرسومات من مصر القديمة ..

وشعر (شريف) بأنه داخل معبد .. أو مقبرة فرعونية ..

فوق محطة فضاء على بعد ملايين الكيلومترات .. فى عمق الكون ..

وتساءل : أى سر غامض وراء كتاب الموتى .. والنقوش الفرعونية ! ربما كان كتاب الموتى .. والنقوش الفرعونية .. هى السبب الذى أوحى للرجل المجنون بفكرة زيه الغريب .. الذى يشبه إلى حد ما الزى الفرعونى ..

★ ★ ★

تفقد (شريف) غرفة الترفيه بمقر الإقامة ..

قرأ قائمة بالروائع الموسيقية والمسرحية ..

سهّلت له اختيار مائة فيلم ..

ليعرضها على شاشة الفيديو المجسم .. الذى يعمل بأشعة الليزر ..

وكان هناك روبوتات فى كل مكان ..

وأدرك (شريف) أن مقر الإقامة هذا يتسع لإيواء وخدمة نحو خمسين شخصًا .. ولكن الآن .. تركزت كل الخدمات تلقائيًا عليه ..

فكلما دار حول نفسه فى أى اتجاه ..

تعثر فى روبوت !

ذهب (شريف) إلى غرفة الطعام .. وبمجرد أن لمس زرًا معينًا أخضر اللون .. جاء روبوت لخدمته ..

سجل طلبه من طعام للعشاء ..

وانصرف بسرعة ..

وبمجرد أن لمس زرًا آخر أحمر اللون ..

حضر إليه الروبوت الخاص بعصير الفواكه ..

مرت دقائق ..

وأحضر الروبوت القائم بالخدمة .. الطعام الذى طلبه .. على صينية فضية ..

وقد بدت له هذه الأطعمة الساخنة .. لذيذة .. وشهية ..

بعد حصص الطعام المركزة .. التى كان يتناولها فى قارب النجاة الفضائى ..

تلك الكبسولة التى بقى بها عدة أيام قبل أن يصل إلى محطة الفضاء ..

أكل (شريف) كل ما استطاع .. ثم ألقى الباقى على الأرض .. حتى تجد آلة التنظيف .. شيئًا لتعمله ..

شعر باسترخاء أعصابه .. بعد الحمام الساخن .. والتدليك .. والطعام الشهى .. وبعد دقائق .. جاءه الرجل النحيف مرة أخرى ..

ركع على ركبتيه وغمغم كأنما يحدث نفسه :

ـ امنحنى بركاتك أيها الكاهن المقدس !

تساءل (شريف) فى استغراب وفضول .. وهو يتجاهل ما قاله الرجل :

ـ إنك تقول بالمساواة بين الإنسان والروبوت .. ألا تعلم أن الإنسان هو الذى صنع الروبوت ؟

أجاب الرجل فى إعجاب وتقدير :

ـ يصنع الإنسان فقط ما يقضى به (أخناتون) !.. إن المعدن والبلاستيك مثل اللحم والدم .. وفى يوم الحساب سوف يتساوى الجميع .. الآلة والإنسان .. أمام (إيزيس) و(أوزوريس) ..

قال (شريف) بقمة انفعاله :

ـ أنصت إلىَ أيها المعتوه .. لا يوجد شىء اسمه (أخناتون) .. إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو خالق السماوات والأرض .. وكل الكائنات الحية .. أتفهم .

إن (أخناتون) والالهة الأخرى .. مجرد خيالات فى عقول بدائية .. أو آلية .. لم تصل بعد إلى روعة الإيمان ..

ذُهل الرجل النحيف واستبد به رعب مفاجئ :

ـ لا أفهم أيها الكاهن المقدس !

استرخى (شريف) فى مقعده الوثير وقال بتؤدة :

ـ أرجوك .. لا تنادينى بالكاهن المقدس .. فأنا مجرد رائد فضاء عادى .. مهمته استكشاف الكواكب الأخرى ..

صمت لبرهة ثم أردف قائلا ببطء :

ـ ... أعتقد أن أحد رجال الصيانة ترك بالصدفة كتاب الموتى .. فى مكان ما بمحطة الفضاء .. ووجدته أنت بعد أن فقدت عقلك ربما بسبب الوحدة والعزلة .. وتصورت أنه كتاب مقدس .. وبدأت فى تطبيق الأدعية الموجودة بين صفحاته .. واتصلت بالروبوتات المتطورة .. عن طريق وحدات المنطق الحديثة داخل عقولهم الصناعية .. وطبعتم منها آلاف النسخ وزعت فى كل أنحاء محطة الفضاء ..

تريث (شريف) لعدة ثوان .. ليعرف تأثير كلماته .. ثم استطرد بلهجة ودية :

ـ .. لقد فعلت تماما .. كالشعوب البدائية .. فعندما لا يستطيعون

تفسير ظاهرة ما .. يعبدونها .. كما فعلوا بالنسبة للشمس .. إن التقدم والتطور فى الفكر البشرى .. يأتى دائما بالإيمان .. أرجو أن تكون قد اقتنعت بالحقيقة !

نهض الرجل ببطء .. وقال بصوت متهدج .. مرتعد :

ـ إنك تكفر بـ(إخناتون) !

أطلق (شريف) ضحكة ساخرة .. وقال متهكما :

ـ أجل أكفر به .. وأعتقد أنه أكذوبة !

تقهقر الرجل عدة خطوات إلى الوراء .. مترنحا ..

وذراعه اليمنى تشير إلى السقف ..

أما ذراعه اليسرى فمنحنية .. للوقاية فوق رأسه ..

كما لو كان يبعد أذى ثورة غضب الآلهة ..

غمغم قائلا :

ـ هذه خطيئة .. خطيئة .. سنصلى من أجلك فى المعبد الكبير .. هل ستأتى ؟

صرخ (شريف) وقد تصلبت نبرات صوته وهو يقول :

ـ لن أذهب معك .. أيها المعتوه .. صل وحدك لآلهتك الممسوخة ..!!

★ ★ ★

فى اليوم الثالث أصبح مقتنعا أن الروبوتات .. تراقبه ..

إذ تصدر إحدى آلات النظافة صريرها فى أعقابه .. على طول الممر ولكن فى اللحظة التى يلتفت فيها ..

يراها وهى تعدو مسرعة .. كما لو أنها سوف تقدم تقريرًا !

وبدأ (شريف) يشعر بالقلق .. وأحيانًا بالخوف ..

مما قد تفعله هذه الروبوتات .. وهو وحيد فى محطة فضاء الطوارئ ..

لعن سخرية القدر .. الذى وضع بأعجوبة رفيقًا على هذه المحطة المنعزلة ..

وفى نفس الوقت حرمه تمامًا .. من الصحبة ..

مجرد رجل مجنون .. ما يزال يؤمن بمعتقدات سادت منذ آلاف السنين .. اقتبسها من كتاب الموتى الفرعونى ..

كان (شريف) يراه من وقت لآخر من بعيد ..

ووجده فى أحد الأيام .. ينظر من خلال الحاجز الهوائى ..

يحاول أن يقول شيئًا ..

ولكنه لم يقترب منه كثيرًا ..

وكان كل هذا .. يشدد من عزلة (شريف) ..

وبدا له واضحًا .. أنه من الأفضل ألا يفكر فى وصول النجدة عما قريب ..

★ ★ ★

ذات يوم .. قرب الفجر ..

استيقظ فجأة من نومه ..

معتقدًا أنه سمع صوتًا ..

لعله زفير الرياح .. أو ما شابه ذلك ..

ولكن لا تهب أى رياح .. فى هذا الجزء الميت من الكون !

توجه إلى باب غرفة نومه .. وفتح القفل الإلكترونى ..

وكالمعتاد كان الممر الخارجى يغرق فى الصمت التام ..

الصمت .. والوحدة .. والعزلة ..

أمور اعتاد عليها .. وأصبحت ترافقه فى كل لحظة ..

ارتدى ملابسه فى حيرة .. بأصابع مرتعدة ..

وخرج مترنحًا إلى غرفة الطعام عبر الممر ..

جلس فوق أحد المقاعد .. وضغط على زر الخدمة .. الأخضر ثم الأحمر ولكن لم يأت أى روبوت ..

ضغط الزرين عدة مرات .. بعصبية ..

دون جدوى ..

وأخيرًا .. التفت فى حيرة .. وحدق فى الحامل الطويل على بعد حوالى خمسين مترًا ..

كان المفروض أن توجد آلات تقديم الطعام .. والعصير .. فى صفوف منتظمة .. فى فترة عدم استخدامها ..

لانتظار أى طلب ..

ولكن الحامل الطويل .. كان فارغًا ..

اندفع (شريف) ناحية الحاجز الهوائى .. وهو فى ثورة غضب ..

كان مفتوحًا والفراغ الكبير .. ما بين مقر الإقامة وعنابر الصيانة والمخازن .. ممتلئة بالروبوتات ..

آلات تقديم الطعام والشراب .. تقف فى محاذاة تامة مثل صف من الأصنام المعدنية .. القابعة ..

آلات التدليك والخدمة والأعمال المنزلية والنظافة وعرض الأفلام .. والآلات الضخمة التى تؤدى وظائف متخصصة .. متعلقة بالمولدات النووية ..

وقفت جميع الآلات .. فى مواجهة منبر مؤقت من علب التموين الضخمة .. حيث وقف الرجل النحيف المجنون .. رافعًا يده اليمنى إلى السماء .. واليد اليسرى مدلاة إلى جانبه ..

صرخ (شريف) قائلًا :

- أرجعهم .. إننى أريد طعامًا .

ظل الرجل واقفًا مكانه دون حراك ..

ثم سمع (شريف) الصوت الذى أيقظه ..

لقد بدأ الرجل النحيف يترنم ببعض الأناشيد .. بصوت خاشع :

- أخناتون .. أنت العالم بأسرار الحياة .. تظهر بجمالك فى آفاق السماء .. أنت البهى الذى تسطع أنوارك على وجه الكون .. وتحيط أشعتك كل أقطارك التى صنعتها .. مهما بعدت عنا فأشعتك داخل قلوبنا ..

تذبذب الصوت برقة .. مثل طنين الآلة ..

ثم ردت عليه صفوف الآلات المتجمعة ..

أصدرت الآلات الثقيلة صريرًا عميقًا ..

وأضافت آلات النظافة صيحات حادة .. كالأنين ..

وبعد أن انضمت إليها الآلات الأخرى ..

تغيرت نوبة البكاء والأنين ..

إلى نبضات عنيفة .. هزت أرجاء المبنى القريب ..

صاح (شريف) مرة أخرى .. ولكنه لم يتمكن من سماع صوته ..

تقدم مترنحًا فى غضب بالغ ..

مندفعًا نحو الرجل المجنون .

ثبت الرجل يديه أمامه .. موجهًا كفيه إلى الأمام ..

قفزت شرارة زرقاء من مكان قريب وظلت هكذا ..

معلقة فى الفضاء ..

ثم قرقعت سيولًا لامعة من الشرارات المتألقة ..

حول آلات الصيانة الضخمة ..

وبدأت فى الظهور .. ومضات ضوئية تعمى الأبصار ..

تندفع عشوائيًا من آلة لأخرى ..

وتصاعدت شدة الصوت .. لدرجة أن (شريف) أطبق بيديه على أذنيه .. وحاول الفرار ..

ولكنه كان قد تأخر كثيرًا ..
إذ أصبح فعلًا .. وسط الآلات ..
وشكلت الشرارات والومضات المتطايرة .. سدًا حوله ..
وللحظات قلقة .. قفزت الشرارات دون أن تؤذيه ..
وبعدئذ بدأ وميض هائل .. يمسك بتلابيبه .. ويطوقه ..
وقف (شريف) مشلولًا لعدة ثوان ..
ثم تهالك ساقطًا فى ظلام دامس ..

★ ★ ★

قال كابتن سفينة النجدة مندهشا :
ـ شخص واحد فقط !
أومأ مساعده برأسه .. ثم قال :
ـ لقد ظل هنا .. لمدة شهرين .
قال الكابتن بسرعة :
ـ أحضره هنا .. فليس لدينا وقت نضيعه .
جاء (شريف مجدى) بين رائدى فضاء ..
ثم قال مساعد الكابتن :
ـ لابد أنه هو الذى رسم هذه النقوش الفرعونية .. التى تزين إحدى قاعات مقر الإقامة .. طقوس دينية .. وشعائر الموت والحياة .. وآلهة مصر القديمة ..
واجه (شريف) .. كابتن سفينة النجدة .. وذهنه خالٍ من أى شىء ..
كان شعره أشعث ..

وقطرات العرق تتناثر فوق جبينه ..
وملابسه ممزقة فى أماكن كثيرة ..
وصندله يحدث صريرًا .. كلما تحرك ..
وأمسك بشدة فى يده اليسرى ..
بكتاب الموتى ..
وبمجرد أن اقترب من سفينة النجدة ..
أخذ يمزقه .. بكل قوته ..
نظر (شريف) بعينين زائغتين .. مذهولتين .. إلى الكابتن ..
ردد بصوت هامس بعض الكلمات غير المفهومة ..
ورفع يده اليمنى إلى السماء ..
ثم وضع يده اليسرى على قلبه ..
وأخذ يومئ برأسه ..
ربت الكابتن على كتفه .. وقال بصوت مفعم بالحنان :
كل شىء على ما يرام .. إنك تحتاج فقط للراحة .. سوف تجد العناية الفائقة .. فى المركز الطبى فوق كوكب المريخ ..

★ ★ ★

لم يخرج الرجل النحيل من مخبئه ..
حتى أصبحت سفينة الفضاء .. مجرد شرارة تخبو فى أطراف السماء المرصعة بالنجوم ..
ثم وقف يراقبها حتى اختفت فى الأفق ..
نسى لفترة واجباته تجاه (شعبه) ..

فذهب أولًا إلى عنبر الصيانة ..

وأدخل نفسه فى حجرة الطاقة ..

وفى أثناء اكتمال حصوله على شحنته الكهربائية ..

وضع بعض زيت التشحيم المرشوش على هيئة رذاذ .. من نافورة ..

فوق ذراعه اليسرى .. الصدئة ..

إنه أحدث أنواع الروبوتات المتطورة .. من طراز ل ١٢٥ .. التى على شكل إنسان ..

ولها خمس وحدات منطق .. ونكاء صناعى ..

وقد وضع فوق محطة فضاء الطوارئ منذ خمس سنوات ..

تحت التجربة ..

وعندئذ تحرك الروبوت النحيف تلقائيًا .. بخطوات بطيئة .. متثاقلة ..

إلى عنبر الآلات .. التى كانت فى انتظاره ..

ليتلو الأناشيد المقدسة ..

للمعبود .. (أخناتون) ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

حلم .. إلى الأبد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

احتضن آلة الأحلام بين يديه ..
فى سعادة غامرة ..
فأخيرًا .. استطاع الحصول على واحدة ..
وبرغم أنه دفع كل مدخراته ..
إلا أنه عاد إلى منزله ..
وفرحته لا توصف ..
إنها أمل حياته .. وأمنية عمره ..
فبوساطته سيتمكن من زيارة كواكب الفضاء .
والقيام بمغامرات مثيرة فوقها ..
دون أن يغادر حجرته ..
آلة الأحلام .. أهم اختراع فى القرن الثانى والعشرين ..
والتى بوساطتها يمكن التحكم فى (الثلاموس) الذى يقع فى قمة جذع المخ .. ويقوم بتوصيل الإشارات العصبية إلى أجزاء المخ ..
وهكذا أمكن استخراج الأحلام من اللاشعور ..
وبرغم التحذيرات بأن آلة الأحلام مازالت فى طور التجربة ..
إلا أنه وقع إقرارًا .. بتحمله مسئولية النتائج كاملة ..
وضع الخوذة فوق رأسه فى لهفة ..
ثبت الأقطاب الكهربائية .. على جبهته ..
ضغط على زر التشغيل ..
بأصابع مرتعدة ..

أغمض عينيه .. وراح فى سبات عميق ..
ثم بدأ الحلم ..

- ١ -

(أورانوس) ..
الكوكب السابع فى المنظومة الشمسية ..
يبدو سطحه اللامع صغيرًا .. تنعكس عليه الأضواء الخضراء والزرقاء ..
يميل محوره بطريقة غريبة عن الوضع العمودى بزاوية .. وكأنه يتدحرج ويظهر فى سمائه خمسة أقمار تتسابق على طول الأفق .. بسرعة مذهلة ..

★ ★ ★

كان (أنور مجدى) يسير على غير هدى ..
فى الممر الطويل الذى يتصاعد على جانبيه ضباب قرمزى ..
وعند كل منحنى .. كأن ينظر وراءه ليرى نفسه مكررًا طبق الأصل .. عشرات المرات ..
ضل طريقه وهو يسير وحيدًا فى هذا الممر اللعين ..
الذى يبدو أن لا نهاية له...
اهتزت الأرض تحت قدميه أكثر من مرة ..
وكلما فكر فى أنه قد وصل إلى نهاية الممر ..
وجده يلتف من جديد فى اتجاه مجهول ..
أخيرًا .. خرج من الممر إلى فضاء فسيح .. ونظر إلى السماء ..

كانت مثل عباءة سوداء هائلة .. يخترقها البرق القرمزى المرتعش .. فى مسار لولبى طويل ..

ثم لم يلبث أن اتخذ شكلًا مألوفًا .. ولكنه مشوش ..

تكونت كلمة ضخمة .. وسط كتابة غامضة ..

ارتجف جسده .. وأحس برعب مفاجئ ..

عندما كاد أن يتوصل لمعناها ..

أصبح إدراكه الحسى متناغمًا مع الظلام المتكاثف ..

وسقط الضوء القرمزى الشاحب على بوابة ..

كانت من نوع غريب .. فى جدار عال .. لا يُرى إلا نصفها فى الشفق الضبابى العجيب .. الذى لا ينتهى ..

والملطخ ببقع من الأخضر والبنفسجى ..

مساء عجيب .. ورائع .. فى أرض تخضب هواؤها بضباب رقيق .. وخيث لا تهب الرياح ..

أحس أنه يتحرك إلى الأمام .. دون أن يبذل أى جهد ..

ثم فجأة .. فُتحت له البوابة ..

وأخذ يصعد سلمًا طويلًا .. يمتد إلى مسافة بعيدة ..

تلاشت الدرجات الصاعدة أمامه تدريجيًا .. فى الضباب القانى ..

لاحظ بعد عدة دقائق أمرًا عجيبًا ..

نوعًا ما من الحياة .. يدب فى الظلام الساكن ..

فتاة تهبط كالبرق على السلم .. وهى فى حالة رعب شديد ..

وشعرها الأشقر الطويل المتألق .. برغم الضباب .. طائر خلفها ..

كانت هيفاء القامة .. نحيلة العود ..

وقد تخضب جسدها من أول رأسها حتى أخمص قدميها .. بالدماء ..

ولابد أنها فى هروبها الأعمى .. لم تره ..

إذ وهى تقفز هابطة ثلاث درجات فى المرة الواحدة ..

اصطدمت به .. وهو يقف مذهولًا .. يراقبها ..

كاد أن يفقد توازنه من أثر الاصطدام ..

ولكن يديه أطبقتا غريزيًا حولها ..

ظلت لدقائق بين ذراعيه .. وهى فاقدة تمامًا لقواها .

شم الرائحة المميزة للدماء .. التى تشربت بها ملابسها البيضاء الشفافة .. فى شكل بقع كبيرة .. مخيفة ..

أخيرًا .. رفعت رأسها .. وأطلت عليه بوجهها المتورد .. الخمرى اللون .. وعينيها الفاتنتين ..

وشعرها المبلل .. ذى اللون الذهبى الرائع ..

وبشرتها العاجية .. وشفتيها الناضجتين ..

وفى هذه اللحظات التى تتسم بالمفاجأة والارتباك .. وجد أن لجمال وجهها الأخاذ أثرًا عجيبًا .. غريب .. يختلف عن أى شىء عرفه من قبل .. ولعل السر يكمن فى نظرات عينيها .. الثاقبة .. التى بدت له بلون جمع بين الخضرة .. والزرقة ..

وكأنها عينا قطة ..

شهقت قائلة .. والخوف يهز أعماقها :

ـ لقد تمكن منها !.. دعنى أذهب .. دعنى ..

همس بصوت مفعم بالحنان :

ـ أصغى إلىّ .. إنك مغطاة بالدماء .. أتدركين هذا ؟

هزت رأسها بعنف .. وحقد مبهم ينمو فى قلبها .. قالت :

ـ لا .. لا .. دعنى أذهب !.. إنه ليس دمى .. بل دمها !

انخرطت فى البكاء .. بعد أن قالت آخر كلمة ..

تهالكت بين ذراعيه .. وهى تبكى بشدة ..

حدق (أنور) فى يأس .. فوق رأسها الأشقر .. ثم رفع الفتاة المرتعدة بين ذراعيه .. وصعد فى درجات السلم ببطء .. مخترقًا الضباب القانى ..

ولابد أنه استمر فى صعوده مدة طويلة ..

قبل أن يصل إلى نهاية السلم .. ليجد رواقًا طويلًا .. ذا قبب عالية ..

كان هناك صف من الأبواب المنخفضة بطول أحد جوانب القاعة ..

دلف جانبًا على عجل .. فى أقربها إليه ..

قاده الباب إلى بهو ذى نوافذ دائرية .. يفضى إلى ساحة زرقاء ..

كان يوجد تحت إحدى نوافذ البهو .. مقعد جلدى منخفض ..

عبر الساحة تجاه المقعد ثم وضع عليه الفتاة الملتاعة برفق ..

وأمسك يدها ..

أخذت تبكى وتقول بين عبراتها .. وقد اشتد صوتها ارتعادًا :

ـ أختى !

زوى (أنور) ما بين حاجبيه وقال فى دهشة :

ـ لا تبكى .. فكل هذا مجرد حلم !

عندئذ رفعت رأسها لأعلى .. وتوقفت عن نحيبها للحظات ..

تطلعت إليه بعينيها الغارقتين فى الدموع ..

كانت رموشها الطويلة .. مبتلة .. وملتصقة ببعضها فى عدة نقاط ..

حملقت فيه بعينين حائرتين .. تبحثان عن المجهول ..

رأت رداءه الفضائى .. ووجهه الأسمر .. وعينيه الشاحبتين ..

كست نظراتها الغريبة .. رقة شديدة .. وقالت بصوت مفعم بالعطف :

ـ هل مازلت تعتقد أنك تحلم ؟

قال (أنور) مؤكدًا :

ـ أعرف أننى أحلم .. أنا أرقد فى بيتى على كوكب الأرض .. وأحلم بك .. وعندما أستيقظ ..

هزت رأسها بحزن .

ـ لن تستيقظ أبدًا .. إنه حلم لن ينتهى ..

ارتسمت على وجهه .. ابتسامة واهنة وقال :

ـ ماذا تعنين ؟

لم ترد عليه فورًا ..

غمرت ذهنه .. رعدة قصيرة من الخوف الأحمق .. بسبب الأسى والعطف فى صوتها .. ونبرة التأكيد فى كلماتها ..

لكن كل هذا مجرد حلم .. لا يمكن أن يكون مخطئًا ..

إنه يذكر جيدًا .. آلة الأحلام .. والخوذة التى وضعها على رأسه ..

تأملته برهة ثم قالت :

ـ يوجد كثير من بلدان الأحلام .. العديد من الأراضى الضبابية الخيالية حيث تهيم أرواح النائمين .. أماكن لها وجود فعلى غير محدد المعالم .. إذا كنت تعرف الطريق المؤدى إليها ..

صمتت لبرهة ثم استطردت قائلة :

ـ ... لا يمكن لأحد أن يسير على غير هدى .. بدون أن يمر على أحد الأبواب التى تفتح فى اتجاه واحد فقط .. ومن لديه المفتاح الذى يفتح هذا الباب .. يمكنه أن ينفذ إلى الداخل .. ولكن لن يمكنه أبدًا أن يرجع إلى أرض استيقاظه مرة أخرى ..

اعتدلت فى جلستها وقالت فى اهتمام .. وهى تغرقه فى سحر عينيها :

ـ ما هو المفتاح الذى فتحت به الباب ؟

غمغم (أنور) فى صوت أجش النبرات :

ـ آلة الأحلام !

مر بيده على عينيه .. لكى ينشط ذاكرته المرهقة .. وهو يبتعد عن الفتاة قليلًا .. ذلك الشىء المجهول .. المدفون خلف جفنى عينيه ..

أما هى .. فقد غمر تفكيرها فجأة .. ذكرى المأساة التى أرسلتها ..

لكى تطير وهى تهبط فوق السلم ..

تغضن وجهها .. وكسته الدموع مرة أخرى ..

اقترب منها (أنور) وقال فى كلمات متمهلة :

ـ ما الذى حدث لأختك ؟

استجمعت رباطة جأشها .. وقالت وهى تتماسك :

ـ أمسك بها الكائن فى القاعة .. تناثرت دماؤها فى كل مكان !

قال (أنور) فى حيرة :

ـ الكائن !

وتحركت يده بلا شعور .. نحو مسدسه الليزرى ..

قالت فى ضراعة :

ـ لن تستطيع أن تؤذيه بهذا السلاح !

تبدت الدهشة عميقة فى أساريره .. وهتف :

ـ أين هو ؟

قالت والخوف يلامس كلماتها المرتجفة :

ـ إنه فى كل مكان من حولك .. ولن تعرف بوجوده إلا عندما يتكاثف الضباب .. القانى .. فجأة .. ويظهر الكائن !

أمسكت بيده بقوة .. وقفزت واقفة .. وشعرها الأشقر يتطاير حولها فى رقة وجمال .. فى لون يخلب الألباب ..

كانت الفتاة صورة للوحدة الغريبة .. المفعمة بالحيوية ..

صورة مختلطة تجمع بين اللون الأبيض .. والذهبى .. ولون الدم ..

فى الشفق الضبابى الذى يخيم على البهو ..

غمغمت تقول فى صوت هامس :

ـ هيا بنا إلى المعبد الكبير .. لتعرف سر الكائن !

ـ ٢ ـ

غادرا فى صمت البهو الذى يفضى إلى الساحة الواسعة .. الساكنة .. سار فى القاعة التى يكسوها الضباب القرمزى .. والسحب الخضراء والبنفسجية .. التى تربك العيون ..

كان الرواق يمتد فى خط مستقيم ..

وينتهى بالأبواب الحديدية الضخمة للمعبد البعيد ..

كانت هذه الأبواب تفتح فى شكل قوس ثلاثى هائل ..

ولم يكن الضوء ينبعث من مصدر واضح ..

ولكنه كان ذا طبيعة شفافة ضبابية .. لا يمكن لأحد أن يخطئها ..

كما لو كان الإنسان ينظر خلال إحدى البلورات .. أو خلال مياه صافية .. تهتز من حين لآخر ..

★ ★ ★

وقفا تحت القوس الكبير للمعبد .. ينظران إلى الأرض المشرقة عند الأفق .. لم يمكنه إطلاقًا أن يتنكر .. ما الذى جعل هذا الكوكب غريبًا بهذا الشكل .. بحيث لا يمكن وصفه ..

ومخيفًا هكذا .. بلا حدود ..

كانت هناك أشجار مكسوة بما يشبه الريش الأخضر ..

وحشائش وأعشاب برونزية ..

ولمح (أنور) من بين أوراق الأشجار ..

بحيرة فى مكان غير بعيد ..

وعندما سار مع الفتاة فوق العشب .. وأخذا يعبران السهل متجهين إلى الأشجار .. التى يترقرق الماء وراءها ..

أدرك (أنور) أن الحشائش قصيرة وناعمة كالفراء ..

أخذت تعلق بكعب رفيقته العارى ..

وكلما نظر إلى السهل رأى موجات طويلة صادرة منه إلى كل الجهات ..

كما لو كانت الرياح تهب من جميع الجهات .. نحو مركز واحد ..

هو المكان الذى يوجدان فيه ..

وكأنما عين العاصفة ..

وقف (أنور) أمام المعبد الضخم ..

المشيد من مواد بلورية غير معروفة ..

زرقاء ضبابية ..

ولم تزدد كثافة الضباب أو تقل عندما اقتربا منه ..

وكان من الصعب على الإنسان .. أن يتذكر جيدًا ..

الشكل العام للمكان الغريب ..

وعندما حاول أن يركز تفكيره فى أحد أركان المعبد .. أو أبراجه أو نوافذه الدائرية ..

تاهت منه الأفكار .. كما لو كانت بؤرة الصورة التى يركز عليها خاطئة ..

أو أن هذا المعبد الغريب الغامض .. يوجد على حدود بعد آخر ..

دلفا من خلال المدخل .. قوس ثلاثى ضخم .. عليه نقوش بارزة عجيبة ..

حيوانات أسطورية .. وحروب بأسلحة رهيبة .. وطقوس دينية ..
سار فى ظلمة الشفق التى بَدأ يعتاد عليها ...
كانت القاعة الكبرى للمعبد .. أمامهما مباشرة ..
عبرا تحت ممر آخر ذى أقواس .. ثم وصلا إلى رواق طويل ..
رأى من خلال الضباب المندفع بسرعة .. صفوفًا من الرجال والنساء الراكعين أمام تمثال هائل ..

لمخلوق رهيب .. بشع ..
كانت رءوسهم منحنية .. كما لو كانوا يؤدون صلاة معينة ..
ركعت الفتاة بجواره .. وعيناها مغلقتان ..
واستسلام غريب يبنو فى كل جزء من جسدها ..
وعندما أمسك بكتفها .. اختلج جسمها مبتعدًا عنه وفتحت عينين محتجتين ..
ولكن دون أن تتوقف عن الركوع فى خشوع ..
ثم اقتربت من صنبور منحن إلى أعلى مثبت بالقرب منهما .. على فواصل منتظمة ..
حنت رأسها .. ثم وضعت شفتيها على الصنبور .. وبدأت تشرب فى نهم .. سائلًا لزجًا أحمر ..

بعد دقائق .. هبت واقفة .. دون أن تلتفت إلى (أنور) ..
وهرعت إلى منصة من صخر أسود .. أمام تمثال الكائن الهائل ..
صعدت إليها ..
ورقدت فوقها دون حراك ..

★ ★ ★

نهض من بين الحشد .. رجل أصلع يرتدى زيًا أسود اللون .. به خطوط طولية .. حمراء ..
توجه إلى التمثال الضخم .. بخطوات سريعة ..
تمتم ببعض الكلمات.
ورد عليه الحشد .. بصوت مرتفع ..
ثم أخرج الرجل الأصلع خنجرًا طويلًا من ردائه ..
واقترب من الفتاة .. الراقدة فى استسلام تام ..
رفع الخنجر بيديه الاثنتين .. فتألق ..
ثم أخذ يهبط به .. فى بطء شديد ..

- ٣ -

فى أقل من ثانية ..
كان (أنور) قد أطلق دفعة من مسدسه الإشعاعى ..
مزقت الكاهن تمامًا ..
وتناثر جسده فوق قاعدة التمثال الضخم ..
وهرع إلى الفتاة الراقدة .. التى أخذت تنظر إليه فى ذهول ..
حملها بين ذراعيه .. واتجه إلى باب المعبد بسرعة ..

قبل أن يتبعه أحد ..
حدق للحظات طويلة فى وجهها الحبيب .. الغريب .. الغامض ..
ثم دار دون أن ينبس ببنت شفة ..
وسار مسرعًا على طول الرواق ..
مخترقًا الضباب المتحرك ..
متجهًا إلى الباب ..
ولم ينظر وراءه مرة واحدة ..
وفى خارج المعبد ..
أنزلها برفق ..
رقّ قلبه عليها .. ونظر إليها فى حب ..
كانت تساير خطواته .. ورأسها منحن للأرض .. وشعرها الأشقر يتطاير حول وجهها .. الفاتن ..
تأثر فجأة لطاعتها له .. وتمهل حتى لحقت به ..
ابتسم فى نصف احتجاج .. وقال فى حسرة ومرارة :
ـ هل تضحين بحياتك من أجل تمثال صنم ؟
رفعت وجهها المرهق إليه .. ورأى الدموع فى مقلتيها .. وقالت بضعف :
ـ شىء ما سيطر على عقلى .. كنت بلا إرادة .. لم أستطع التفكير ..
لم يكن هناك ما يفعله سوى أن يبتسم فى حنان ..
ثم يرفعها عن الأرض ..
ويقبل رأسها الأشقر ..
وما أن وضعها على الأرض العشبية .. البرونزية ..

حتى هاج الهواء فجأة .. بشكل عجيب ..
فى المنطقة التى تفصل بينهما .. وبين المعبد الكبير ..
لاحظ (أنور) أن الهواء .. بدأ يتحول إلى ضباب أزرق .. سديمى ..
وأخذ يزداد كثافة .. وسوادًا ..
وبدأت تتداخل فيه .. مسحة غامضة .. بنفسجية .. وخضراء .. بشكل لم يعه ..
وازداد عمقًا وكثافة .. وتبدّل إلى لون قرمزى متوهج .. لفح عينيه .
وأخذ ينبض بقوة ..
لقد عرف الآن .. أن الكائن قادم إليهما ..
بدا أن هالة من التهديد المروّع .. تشع من بؤرة العاصفة ..
وتزداد كثافة .. وحدة ..
تمتد فى نهم تجاه عقله ..
شعر بها كشىء واقعى .. ملموس .. كما رآها تمامًا ..
خطر غامض يقترب منهما .. بشوق .. ولهفة ..
يحمل فى طياته .. الموت ..
لم تكن الفتاة خائفة .. كان يعلم هذا بشكل ما ..
برغم أنه لم يجرؤ على إبعاد عينيه .. عن هذا الشىء القرمزى النابض .. الذى يسلب الألباب ..
سمعها تهمس برقة من ورائه :
ـ سوف أموت معك .. إننى راضية بهذا ..
خفت صوتها الهامس .. من قبضة النبضات القرمزية الثاقبة .. التى تحيط بهما .من كل جانب ..

أطلق فجأة ضحكة عالية .. عصبية ..
كان يقصدها .. كتغيير من هذه الحياة المأساوية الدائمة .. التى أصبح يحياها ..
تناول مسدسه الإشعاعى .. وأطلق منه لهبًا أزرق طويلًا .. مفاجئًا ..
حتى أن الفتاة أمسكت أنفاسها فى ترقب ..
ووقفت وراءه ترتعد ..
أضاء اللمعان الأزرق الضباب المجمّع ..
اخترقه دون صعوبة .. وحرق الأرض العشبية التى بعده ..
صرّ (أنور) على أسنانه .. وأطلق الأشعة الحرارية فى خط متعرج خلال الضباب فرسمت الحرارة فيه خطوطًا زرقاء رمادية ..
وبمجرد أن عبرت الأشعة الحرارية النبضات القرمزية ..
أحدثت رجة عنيفة فى السحابة الضبابية كلها ..
بحيث ارتعشت حوافها الخارجية ..
وبدأت تخبو فى سرعة هائلة ..
حرّك (أنور) الأشعة الحرارية المنطلقة من مسدسه .. للأمام وللخلف على طول اللون القرمزى .. مقتفيًا أثره المدمر ..
إلا أنه سرعان ما ذوى ..
وفى أقل من عشر ثوان .. شحب .. وتحرر من القيود .. واختفى ..
باستثناء تألق وردى .. أخذ يخبو رويدًا .. محدثًا فقاعات كبيرة ..
توقف (أنور) عن إطلاق مسدسه الإشعاعى ..
ثم أخذ يتنفس بتهدج ..

وهو يرى سحابة الموت .. تتناقص فى كثافتها .. وتخفت .. وتتلاشى .. أمام عينيه المرهقتين ..
ثم لم يعد لها أى أثر ..
وعاد الهواء صافيًا .. وشفافًا مرة أخرى ..
كانت الفتاة ترتعد بشدة .. بعد أن زال الخطر ..
تمالكت نفسها .. ونبت على ثغرها بسمة ..
شعرت بحزن ناعم .. أسبلت له أهدابها ..
إحساس دافئ .. انبعث من أعماقها ..
يتأملها (أنور) معجبًا ..
تضيع نظراته فى عينيها الرائعتين ..
يحيط كتفها بذراعه .. وكأنه يحميها ..
يهمس .. ويلفها صوته الهادئ .. :
ـ أحبك ..
تسبل أهدابها فى سعادة غامرة ثم ترفع أجفانها .. وتبتسم فى رقة ..

ـ ٤ ـ

أشارت إلى قاعة قريبة .. وطلبت منه أن يستريحا قليلًا ..
فقد أرهقتها تمامًا .. تلك الأحداث المروعة التى واجهتهما ..
تبعها إلى الرواق المؤدى للقاعة ..
مخترقين الضباب المتدافع .. الذى ازدادت كثافته كلما تقدما إلى الأمام ..
وفى الضوء الشاحب الضعيف ..
لم يكن متأكدًا مما إذا كانت الجدران الداخلية ثابتة .. أو أنها تهتز بشكل غامض .. مثل الهواء الضبابى ..

شعر بشىء غريب يدفعه إلى اختراق الحواجز غير الملموسة التى حوله .. ليصل إلى القاعة ..

ارتفعت الدرجات تحت قدميه بشكل غير محسوس ..

وبعد برهة جذبه الضغط الذى على ذراعه جانبًا ..

اندفعا تحت قوس منخفض .. من المرمر الأسود .. الذى تتخلله نقاط بيضاء .. ثم دلفا إلى أغرب غرفة رآها (أنور) فى حياته ..

كان يبدو أن لها سبعة جدران .. حسبما أمكنه أن يقدر خلال الضباب المتكاثف من حوله ..

كما لاحظ بعض الخطوط الغريبة .. المتقاربة .. محفورة بعمق فى الأرضية ..

بدا له أن قوة معينة مجهولة .. لا يستطيع أن يفهمها .. تصطدم بعنف بالجدران السبعة ..

وتأخذ شكل دوائر .. دوامية .. كالإعصار ..

حتى أصبحت الغرفة .. مثل بركان ثائر لا يعرف مصدره ..

ثم ظهر شكل قرمزى على الجدار المظلم فى جوف الشفق ..

أخذ يتلوى مثل نار ذات أربعة أبعاد ..

أثارت رؤية هذا الشىء .. البلبلة فى عقله ..

واستجاب مرغمًا للضغط على ذراعه .. وشعر بدوار مروع ..

وتعثرت قدماه ..

أدرك بشكل غامض .. أنه يقف فى قلب مركز هذه الخطوط العجيبة .. المتقاربة ..

وأنه يتعرض لقوى مجهولة ..

أخذت تنفذ بسرعة إلى أعماقه ..

وعندئذ ولعدة لحظات فقط ..

أطبقت ذراعان على رقبته ..

وأحس بشفتين ناعمتين تلتصقان بجبهته ..

وكأنها قبلة وداع ..

ثم سمع صوتًا يبكى .. ويتنهد بأنفاس سريعة فى أذنيه ..

وسقط مغشيًا عليه ..

- ٥ -

استيقظ ببطء بالغ ..

كان ما يزال فى الغرفة الغريبة ..

ومن خلال ضوء الشفق ..

رأى بصعوبة الشكل الخارجى للفتاة ..

كانت على بعد عدة خطوات منه .

ولكنه لم يستطع الاقتراب منها ..

بسبب قوى خفية .. مروّعة ..

بدا أن التيارات غير المرئية .. تضرب جسدها كله ..

حتى أنها أخذت تترنح .. وتتمايل أمامه ..

وشكلها الخارجى .. يزداد غموضًا ..

إذ أن القوى المجهولة .. كانت تضربها بعنف .. وبدون رحمة ..

شاهد بشائر ظهور المعرفة .. ترتسم على وجهها .. بعد أن نفذت إلى عقلها .. تغضن وجهها الفاتن .. العذب ..

وتباعدت شفتاها الحمراوان .. بلون الدم ..

صرخت بكلمة واحدة ..

لم يفهمها ..

ثم رأى لسانها ينثنى بدرجة لا تصدق ..

داخل فمها المفتوح ..
لتكوين مقاطع كلمة غامضة ..
ثم شهقت وسط الضباب الكثيف ..
وأطلقت صرخة عالية ..

★ ★ ★

كان (أنور) يركض على طول ممر متعرج .. قرمزى اللون ..
لم يتحمل أن ينظر إلى أسفل .. أو إلى الوراء ..
التف الممر يمينا ويسارا .. واهتز تحت قدميه ..
لدرجة أنه تعثر فى كل خطوة ..
تلمس طريقه خلال الضباب الكثيف .. الذى تكسوه سحابة من اللونين الأخضر والبنفسجى ..
وران فى سمعه .. همسة مخيفة ..
كلمة غامضة .. لا يمكن نطقها ..
غاص الإنهاك والتعب فى أعماق عقله ..
ثم هدهدته ألوان الشفق الهادئة للضباب ..
كان ضعفه يتزايد ..
فى شكل موجات رمادية تداهمه .
أغلق عينيه ..
وأدرك حقيقة .. مروّعة .
إن هذا الحلم سوف يستمر حتى نهاية حياته ..
حلم .. إلى الأبد ..
وأنه قد أصبح سجين هذا الكوكب المرعب .. (أورانوس) ..
ولن يعود أبدا .. إلى عالمه فوق كوكب الارض ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الطاعون

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

خفّض (ماجد زاهر) رأسه .. من فوق عدسة التلسكوب الهائل .. حتى لا يرى كوكب الأرض .. والسحابة السوداء التى تحيط به ..

كبح جماح أعصابه إزاء هذا المنظر ..

الذى يودى بالعقل ..

رفع عينيه ببطء .. ونظر إلى الصف المركّب من علامات الإنذار فى الجانب الآخر من غرفة الرصد ..

بمحطة الفضاء (الرازى) ..

استمر ينظر إليها لمدة طويلة .. قبل أن يراها بالفعل ..

ولاحظ أن أحدها قد تغير فى خفوت ..

إذ ظهر نجم أحمر ضئيل الحجم .. فى هذا القطاع ..

نهض فى تثاقل .. واتجه إلى الكمبيوتر القريب ..

ضغط بشدة على أحد أزرار لوحة المفاتيح .. ثم استند إلى الأمام ..

وتكلم فى أحد منظومات الاتصالات الداخلية ...

قال بصوت مفعم بالحزن :

- (نجوى) .. إن رقم ١٦ على وشك الوصول ..

لكنه لم يسمع أى إجابة ..

- (نجوى) !

كان يعلم أن صوته المرتعش يصل إلى كل مكان .. داخل محطة الفضاء ..

عبر الممرات المعدنية المضيئة ..

داخل المختبرات الصغيرة ..

وقاعات مولدات الأكسوجين ..

انتظر برهة من الوقت .. دون أن يسمع أى رد من المهندسة (نجوى سليمان) .. أحدث (ماجد) صوتًا متبرمًا .. وسطًا بين الضجر والغضب..

وضع رأسه بين يديه ..

وظن أنه يعرف ما حدث ..

برغم كل الاحتياطيات التى كان قد اتخذها للحيلولة دون حدوثه ..

مشى عبر الغرفة .. وبدأ يسير فى ممر تحيطه الجدران المعدنية الرمادية ..

كان رأسه منتصبًا .. إلا أن كتفيه مرتخيتان ..

أخذت قدماه تزحفان على الأرضية المصنوعة من البلاستيك والمطاط..

لم يقطع حدة السكون أى صوت ..

باستثناء الهمهمة الخفيفة لأجهزة التكييف .. ومولدات الأكسوجين ..

فلم يكن هناك أى شخص بمحطة الفضاء (الرازى) ..

سوى (ماجد) و..(نجوى)

★ ★ ★

كان كبير المهندسين (عزت شوقى) .. قد أخذ الاثنين الآخرين من طاقم العمل بمحطة الفضاء ..

وعاد بهما إلى كوكب الأرض .. منذ عدة أسابيع .. فى واحدة من سفينتى الطوارئ ..

وعند باب الخروج .. قال لـ(ماجد) مشجعًا :

- سوف أعود بمجرد أن أنتهى من مناقشة .. التعديلات المقترحة على الجناح الإضافى لمحطة الفضاء .. وعليك أن تبقى مع المهندسة (نجوى سليمان) .. للتعامل مع الروبوتات .. وبرمجتها ..

ولكن لم يعد (عزت شوقى) إلى محطة الفضاء ..
وشعر (ماجد) الآن .. بأنه لن يتمكن أبدًا من العودة ..
هو أو أى شخص آخر ..
كان يعلم أن بمحطة الفضاء .. سفينة طوارئ أخرى ..
ولكن كانت هناك أيضًا تعليمات .. لابد من تنفيذها ..
تحت أى ظروف ..
سار فى سكون .. وهو يتذكر أول مرة مشى فيها عبر هذا الممر ..
كان ممتلئًا بالإثارة والترقب .. فى أول نصف ساعة قضاها داخل محطة الفضاء ..
وكيف كان يفكر فى العمل الذى سوف يؤديه هنا ..
أبحاث الطاقة من الفضاء ..
استغلال الطاقة الشمسية التى تنتشر فى كل مكان ..
حيث يمكن تحويل ضوء الشمس إلى كهرباء .. دون احتراق أو تلوث للبيئة .. باستخدام الخلايا الشمسية ..
التى تتكون بصفة أساسية من مادة السيليكون ..
وتتلخص فكرة توليد الطاقة .. فى أن بلورة السيليكون عندما تسقط عليها أشعة الشمس .. فإنها تسبب انطلاق بعض الجسيمات دون الذرية .. الإلكترونات .. وهى التى تُحدث التيار الكهربائى ..
كان (ماجد) يدرك مدى أهمية هذا العمل .. لكل إنسان على الأرض .. فى المستقبل ! حيث يقدر العلماء أن كمية الطاقة الشمسية التى تصل إلى كوكب الأرض .. خلال ساعة واحدة .. يمكن أن تكفى العالم كله .. كوقود ..
مدة عام كامل ..
إذا أمكن الاستفادة من طاقتها .. بشكل جيد ..

★ ★ ★

دلف (ماجد) من الغرف والدهاليز الساكنة ..
إلى أن وجد المهندسة (نجوى سليمان) ..
كانت جالسة على مقعد فى ركن غرفتها .. تحدق فى لا شىء ..
بدا واضحًا أنها غائبة عن الوعى ..
نظر فيما حوله .. حتى وجد زجاجة حبوب أفرغ نصفها على المنضدة الصغيرة .. التى أمامها ..
شهق (ماجد) .. فقد أعتقد إنه قد خبأ كل حبوب المهدئات الموجودة فى محطة الفضاء ..
ولكن يبدو أن (نجوى) قد وجدت البعض منها ..
وكان ذلك أحد الطرق الممكنة لتلقى الكارثة ..
وضع (ماجد) الحبوب فى جيبه ..
ولم يكن هناك ما يمكن أن يفعله .. سوى أن يترك (نجوى) حتى تتحسن حالتها .. عاد إلى غرفة الرصد ..
قبع هناك يراقب التغير البطىء فى موضع النجم الصغير الأحمر .. على شاشة الكمبيوتر التى تغطى الجدار بأكمله ..
هذه مركبة البحث الفضائية .. الروبوت رقم ١٦ .. على وشك الوصول إلى محطة الفضاء (الرازى) ..
أما المركبات الأخرى .. التى استدعيت جميعًا فى نفس الوقت ..
فسوف تصل فى غضون الأيام القليلة التالية ..
حتى تعود جميع الروبوتات ..
ثم ماذا ؟!
وجد (ماجد) أنه يحدق فى كوكب الأرض مرة أخرى .. من خلال عدسة التلسكوب ..

وتساءل فى فزع :

ـ كم من الناس مازالو على قيد الحياة هناك ؟

لقد حاول الاتصال بمراكز المتابعة فوق كوكب الأرض .. مئات المرات .. دون جدوى ..

وكأن العالم قد انتهى ..

شعر (ماجد) بالغضب داخل كل خلية فى جسمه ..

فليس من المعقول أن يكون جميع من على الأرض قد مات ..

فالسحابة السوداء .. أو الشتاء النووى الذى حجب ضوء الشمس ..

والأمطار الحمضية التى نتجت عن التلوث ..

ربما نتج عنها إبادة الملايين .. ولكن من المؤكد أن هناك أشخاصًا على قيد الحياة .. فى مراكز المتابعة ..

فلماذا لا يردون على اتصالاته المتكررة ؟

لعلهم غير قادرين على استخدام الأجهزة الحديثة للاتصال بوساطة أشعة الليزر !!

هز (ماجد) رأسه ..

ربما يتصل به كبير المهندسين (عزت شوقى) ..

فقد كان عليه أن يبلغه بتفاصيل الكارثة البيئية التى حلت بكوكب الأرض .. وكذلك .. الطاعون ..

فقد عاش الناس لعدة عقود .. وهم يرتعدون من الإبادة بسبب الحرب النووية .. وما تحدثه من تساقط الغبار الذرى القاتل ..

بالإضافة إلى تكوّن سحب سوداء تحجب الشمس .. وأشعتها .. أطلق عليها .. الشتاء النووى ..

ونشبت الحرب النووية ..

وأمكن حصر الغبار الذرى المتساقط .. فى نطاق ضيق مأمون .. ولكنه انتشر فى كل أنحاء الكرة الأرضية ..

وأثر بشكل رئيسى على أجسام أخرى دقيقة .. هى البكتيريا .. وبعد ذلك حدثت سلسلة من التحولات الوراثية الناجمة عن تأثيرات النشاط الإشعاعى .. فى سلالات من البكتيريا ..

تنبه العلماء أخيرًا لما يحدث ..

إلا أن ذلك كان متأخرًا جدًا ..

فظهرت أخطر أنواع البكتيريا فى تاريخ كوكب الأرض ..

أخذت تتكاثر .. وتنتشر فى جميع بلاد العالم ..

ثم انطلق الطاعون المميت من عقاله ..

وحدثت أول هجماته المصحوبة بمعدلات وفيات رهيبة .. لم يسمع عنها من قبل..

وسارعت منظمات الصحة العالمية لمجابهة الخطر .. باتخاذ إجراءات سريعة .. للحجر الصحى .. والأبحاث الطبية المكثفة ..

بحثًا عن مصل واق ..

ولكن كان ذلك كله .. قد تأخر كثيرًا ..

وهكذا بقى (ماجد) .. و(نجوى) معزولين عن الكوكب الأم .. كوكب الأرض .. وحيدين .. فى محطة الفضاء (الرازى) ..

★ ★ ★

أظهرت شاشة الكمبيوتر .. عددًا أكبر من النجوم الحمراء الصغيرة .. روبوتات هائلة .. تقترب من محطة الفضاء ..

سفن معدنية صغيرة .. غير مأهولة .. يطلق عليها مركبات البحث الفضائية .. روبوتات .. صممت لاستكشاف أقرب الكواكب والنجوم ..

سارت هذه الروبوتات تحت تأثير إشعاعات شموس غريبة .. وخاضت فى جليد .. وتحملت درجات حرارة تبلغ مئات تحت الصفر .. وتعرضت لعواصف عاتية من الجسيمات دون الذرية .. المشحونة ..

إلا أن الاستكشافات توقفت فجأة ..

إثر إصدار رسالة متعددة الأبعاد فى الكون ..

بالعودة إلى محطة الفضاء (الرازى) .. على الفور ..

أمر واضح .. يجب تنفيذه دون تردد ..

ظن (ماجد) أن ذلك كله .. بلا جدوى .

فما فائدة التسجيل الدقيق .. لجميع المعلومات التى تحضرها الروبوتات .. طالما أنه لا يوجد على الأرض .. أى إنسان ليستفيد منها !

ولكن كبير المهندسين (عزت شوقى) تركه مسئولًا عن مشروع الطاقة الشمسية .. والروبوتات ..

ويجب أن يتحمل المسئولية كاملة ..

مهما حدث ..

بعد فترة من الوقت ..

سمع (ماجد) صوت هبوط الروبوت رقم ١٦ .. تلقائيًا ..

ودخوله إلى غرفة الاستقبال بمحطة الفضاء ..

ثم شعر بوقع أقدامه الثقيلة عبر الممر الشمالى ..

وهو يتجه بهدوء ناحية مختبر التحليل ..

نهض (ماجد) .. واتخذ طريقه إلى المختبر ..

كان الروبوت رقم ١٦ .. واقفًا فى صمت وسكون .. فى المكان المحدد له تمامًا .. مربع كبير مخطط باللون الأبيض .. وعليه رقمه ..

بدأ (ماجد) فحوصاته المبدئية .. وبرغم اعتقاده بعدم جدوى كل ذلك .. إلا أنه انهمك بسرعة فى عمله الروتينى ..

غمغم قائلًا لنفسه :

- إن دقات القلب .. والكليتين .. والجهاز الدموى .. القلب والأوعية الدموية .. تبدو فى حالة لا بأس بها .. ولكن تجميع الكالسيوم والنشادر فى الرئتين .. أكثر مما توقعنا .. إن التأكد من ذلك سيستغرق بعض الوقت ..

صمت قليلًا وهو يكمل فحصه .. ثم أردف فى همس :

- ... والآن دعنا نر أيها الروبوت .. كيف تتصرف مراكز التحكم التلقائى لديك ؟

وقف الروبوت رقم ١٦ .. ساكنًا لا ينبس ببنت شفة ..
فهو لا يستطيع أن يتكلم .. أو يسمع .. أو يفكر ..
إنه مجرد روبوت .. آلة غاية فى الدقة .. تستخدم لدراسة أثر البيئات الغريبة على التكوينات .. المشابهة لجسم الإنسان ..
ومن خلال بشرته البلاستيكية الشفافة ..
يمكن رؤية قلبه الصناعى وهو يدق فى رتابة ..
وشرايينه .. وأوردته .. وعظامه الصناعية ..
ورئتيه المصنوعتين بعناية فائقة من المطاط المقوى بالألياف الكربونية ..
وكانت تتم الدراسة الدقيقة .. من خلال فتحة فى القفص الصدرى .. تشبه الجرح القاطع الكبير ..
إن الذين شاهدوا الروبوتات لأول مرة ..
وجدوهم ذوى أشكال مريعة .. مخيفة ..
إلا أن هذا الانطباع سرعان ما خبا ..
وأصبح الروبوت .. مجرد جهاز مألوف .. تعوّده الإنسان .. كالتليفزيون ذى الشاشة الكبيرة المسطحة .. والفيديو المجسم ..
لقد كانت هذه الروبوتات قادرة على السير .. والصعود .. والنزول .. وتنفيذ الأوامر المبرمجة فى أجهزتها العصبية الكهربائية .. المغناطيسية .. التى تعمل بأشعة الليزر ..
ويمكن لهذه الروبوتات داخل المركبات الفضائية الصغيرة .. المتحركة بسرعات تقترب من سرعة الضوء .. والتى لا يستطيع أى إنسان أن يتحملها ..

أن تتجه إلى عوالم الشموس الغريبة .. وأن تتحرك عليها .. لتسجل تضاريسها .. من براكين ووديان وجبال .. وأن تتنفس هواءها .. المشبع بغازات ثانى أكسيد الكربون والنشادر والميثان ..
وتقيس حرارتها اللافحة التى قد تبلغ مئات الدرجات .. وتستجيب لجاذبيتها التى قد تبلغ عشرات المرات قدر جاذبية كوكب الأرض ..
ثم تستقل الروبوتات مركبات البحث الفضائية وتعود بها إلى محطة (الرازى) .. حيث يفحصها المختصون لتعرّف تأثيرات البيئات الغريبة .. فى عمق الكون ..

★ ★ ★

حصل (ماجد) على شرائط الفيديو المتضمنة تسجيلا للعوالم البعيدة .. التى اكتشفها الروبوت ١٦ ..
أدارها كلها .. مبتدئًا بالشرائط المصورة التى توضح الصحراء الحمراء التى سار فوقها الروبوت .. تحت قمرين معتمين جزئيًا ..
ثم الشرائط التى سجلت عليها أجهزة الاستشعار جميع البيانات الكيميائية .. والفيزيائية لهذا العالم ..
الجبال الشاهقة .. والبراكين الهائلة .. والسحب الكبريتية ..
استغرق العمل كل تفكيره .. وحواسه ..
دون أن يسمع حتى الأصوات المعدنية الخافتة الصادرة من بخرف الاستقبال .. والتى تدل على عودة روبوتين .. ودخولهما إلى الممر المؤدى للمختبر .. تلقائيًا ..
نظر إلى الروبوت ١٦ .. وعيناه تلمعان انفعالًا .. وإثارة .. وقال :

ـ إنك محظوظ حقًا .. فلو كنت إنسانًا .. لأدركت وفكرت وتذكرت .. وتألمت ..

أزاح (ماجد) هذه الفكرة من رأسه .. وواصل فحوصاته ..

وبمجرد انتهائه من الروبوت ١٦ .. وصل المستكشفان الفضائيان الآليان .. الروبوتان ٦ و ١١ ..

سارا فى صمت داخل المختبر .. ولم يلبثا أن وقفا ساكنين عند الرقمين الموضحين فوق الأرضية .. حيث انتهت برمجتهما ..

استخلص (ماجد) الشرائط من الروبوتين ..

وبدأ فى تشغيلها .. وفحصها .. وتسجيل النتائج فى الذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر المركزى ..

لم يشعر بالتعب .. أو الرغبة فى التوقف .. حتى بعد مرور عدة ساعات .. غمغم ناظرًا إلى الروبوت ٦ .. وعيناه شبه مطبقتين وقال :

ـ ما السبب فى انخفاض درجة حرارتك ست درجات ؟ .. ففى المرة الأولى انخفضت درجة حرارتك ثم عادت لمعدلها الطبيعى .. أما فى هذه المرة فما زالت منخفضة .. لماذا أيها الروبوت ؟

جاءه صوت هامس من خلفه :

ـ هل تتحدث إلى الروبوت ؟

لم يكن ذلك سوى صوت (نجوى) .. الذى انطلق فجأة ..

التفت (ماجد) .. ليشاهد (نجوى) واقفة فى مدخل المختبر .. وعيناها محمرتان .. وجسدها الرشيق يترنح قليلًا .. ولكنها تبدو يقظة بدرجة كافية ..

قال بلهفة :

ـ هل أنت بخير يا (نجوى) ؟

صمت قليلًا ثم أردف :

ـ .. كنت أفكر بصوت مرتفع .. ليس إلا ..

ردت عليه بصوت مفعم بالسخرية :

ـ تفكر !؟. لابد أن الأمور قد ساءت .. فعندما نبدأ فى التحدث إلى الروبوتات .. قاطعها بعصبية :

ـ نعم .. أفضل أن أتحدث مع الروبوتات .. بدلا من الحديث مع إنسانة تتناول الحبوب المهدئة .. ألا تدرين أنها قد تسبب الجنون ؟

حملقت فيه (نجوى) لبرهة ثم أطرقت برأسها وقالت فى خجل :

ـ إننى آسفة يا (ماجد) .. لقد كانت لحظة ضعف .. لن تتكرر ..

نظر إليها .. وقد انفرجت عن شفتيه ابتسامة صغيرة :

ـ لابد من وجود بعض الناجين فوق كوكب الارض .. أليس كذلك يا (نجوى) ؟

قالت وهى تتأمله .. وقد توردت وجنتاها :

ـ دعنا نكمل فحص باقى الروبوتات ..

واصلا الفحص .. وسجلا الملاحظات .. وضبطا أجهزة الاستشعار عن بعد .. ومعدات القياس ..

واستمر قدوم المزيد من الروبوتات العائدة من الشواطئ الكونية البعيدة .. حتى جثم خمسة منها فى المختبر .. واقفة فى الاماكن المحددة لها ..

بعد برهة قالت (نجوى) وقد زاغت عيناها :

ـ إن الروبوت ٧ نجح فى مهمته .. فهناك بالقرب من النجم الفاقنطوروس .. كوكب يصلح لحياة البشر .. نسبة عالية من

الأكسوجين .. ودرجة حرارة ملائمة .. لم يرد (ماجد) .. وإنما استمر مواصلًا عمله ..

هزت (نجوى) كتفيها فى حيرة .. وتحركت خارجة من المختبر .. بخطوات متثاقلة .. اعتقد (ماجد) أن (نجوى) عادت إلى غرفتها لتستريح ..

وبعد أن انتهى من عمله .. ذهب إلى غرفة الرصد .. ووجدها هناك تحدق فى عدسة التلسكوب ..

تراجعت إلى الوراء .. وجلة مرتعدة .. وهمست فى حدة :

ـ لا يوجد أى ضوء .. فقد اعتدنا رؤية الأضواء التى تدل على المدن .. من خلال جهاز الرؤية الذى يعمل بالأشعة تحت الحمراء .. ولكن الآن كل شىء تكتنفه الظلمة ..

قال (ماجد) وهو يحاول أن يتماسك :

ـ قد تكون الأضواء مطفأة .. إلا أن الناس ما يزالون أحياء يرزقون ..

ردت (نجوى) والخوف يهز أعماقها بعنف ..

ـ أرجو هذا يا (ماجد) .. بل أتمنى ..

استدار (ماجد) خارجًا .. ولم يعد يشعر بالنعاس ..

ذهب إلى المختبر مرة أخرى ..

كان قد ترك الأنوار مضاءة هناك عندما خرج ..

سار وهو مجهد .. ورأى شعاعًا من الضوء القادم من الممر .. يسقط على قضبان الكروم .. ويظهر الوجوه المعدنية الهادئة لصفوف الروبوتات .. كل روبوت يقف فوق رقعة .. لا يتحرك ..

ساكنًا لا يصدر صوتًا ..

فجأة شعر (ماجد) برعب من هذه الأجهزة الآلية .. برغم أنه تأقلم طويلًا معها ..

واعتاد صحبتها ..

فما الذى كان يفعله فى هذا المكان .. بعيدًا عن كوكب الأرض .. مع هذه الكائنات غير البشرية .. التى تنظر إليه .. بعيون جامدة .. متألقة .. من الكوارتز ..

لقد أصبح محاصرًا بهذه الروبوتات .. التى تقف فى صمت قاتل ..

شعر بأنه يوشك على أن يفقد قبضته على عقله .. ولو حدث ذلك لانتهى أمره إلى الفرار من أمام الروبوتات ..

والصراخ فى كل أنحاء محطة الفضاء ..

وسوف تكون هذه .. أسوأ نهاية له ..

لذا فقد كان أفضل علاج .. هو العمل المتواصل .. بلا انقطاع ..

استمر يعمل لساعات طويلة كل يوم .. فى الفحص الروتينى لكل روبوت .. ملاحظًا كل شىء ومسجلًا أدق التفاصيل ..

دون أن يسأل نفسه مرة واحدة .. من الذى سوف يقرأ ملاحظاته تلك؟. وبعد أن فرغ من مهمته .. وعرف المزيد عن عوالم الكواكب والنجوم .. والمجرات البعيدة ..

أكثر مما عرفه أى إنسان من قبل ..

بدأ فى إصلاح الأعطال والتلفيات التى حدثت للمستكشفين الآليين .. نتيجة لتعرضهم للإشعاعات الحارقة .. أو الأجواء المسمومة .. أو الجاذبية المروّعة .. وكانت (نجوى) تساعده أحيانا ..

وذات مرة .. عندما أوشك على الانتهاء من إصلاح بعض الروبوتات سألته (نجوى) .. وقد تبدت الدهشة عميقة فى أساريرها :

ـ ما فائدة هذا كله ؟ ربما لا يوجد أى إنسان لإرسال هذه الأجهزة الآلية مرة أخرى .. لن يكون هناك أحد .. عندما تعود الروبوتات ..

أجابها (ماجد) بغموض :

ـ إننى لم أفكر فى إمكان عودتها .

★ ★ ★

ذات يوم ..

أيقظه صوت غريب غير عادى ..

انتصب فى فراشه وأرهف السمع ..

ثم لم يلبث أن أدرك كنهه .. وعرف أنه صدر من القاعدة الداخلية لسفن فضاء الطوارئ ..

التى لم يبق منها سوى .. واحدة فقط ..

انطلق (ماجد) يركض إلى هناك وهو يلهث ..

كان قلبه يدق بعنف .

ووجهه مبيضٌ بلون الثلج ..

خوفا من أن يظل بمفرده فى محطة الفضاء ..

فى وحدة مطلقة ..

تمكن من اللحاق بـ(نجوى) قبل أن تشغل المحركات الرئيسية لسفينة فضاء الطوارئ ..

قال فى نبرات متصلبة :

ـ (نجوى) .. لا يمكنك الذهاب ..

قالت (نجوى) بصوت جامد .. وبتصميم :

ـ إننى راحلة ..

قال فى حسرة ومرارة :

ـ ينتظرك الموت فوق كوكب الأرض ..

ردت بصوت مفعم بالسخرية :

ـ وما الذى ينتظرنا هنا ؟ لعل مصيرنا يتأخر حدوثه قليلا .. ولكنه نفس المصير على أى حال ..

أمسك (ماجد) ذراعها بقوة ..

لقد كاد أن يكرهها فى الأيام القليلة الماضية ..

ولكنها أصبحت فجأة .. ذات أهمية بالغة الآن ..

كدفاع أخير ضد الوحدة والعزلة .. الأبدية ..

قال (ماجد) فى ثقة وإيمان :

ـ أنصتى إلىّ .. تمهلى لفترة قصيرة .. حتى أفرغ من إصلاح الروبوتات .. ثم نذهب معا من هنا ..

حملقت (نجوى) فيه لبرهة .. ثم قالت فى نبرة تنبض بالشك :

ـ أنت ؟

قال (ماجد) مؤكدا :

ـ هل تظنين أننى أريد البقاء وحيدا ؟ إن الأمر كما تقولين .. مسألة وقت !

صمت لبرهة ثم استرسل قائلًا فى همس :

ـ .. هناك شىء واحد على الأقل .. علىّ أن أقوم به قبل الرحيل ..

تطلعت إليه (نجوى) فى إمعان ثم قالت فى غير تردد :

ـ لا بأس .. سوف أبقى معك ..

لم يكن لدى (ماجد) أى شك بشأن نتائج وعده هذا .. فقد كانت فرصة نجاتهما شبه معدومة .. لو وصلا إلى كوكب الأرض ..

سوف يهلكان بالطاعون ..

وإذا كان الموت هناك .. احتمالًا قويًا ..

فإنه مؤكد تمامًا داخل محطة الفضاء ..

إثر توقف مولدات الأكسوجين .. وأجهزة التدفئة .. ومرشحات تنقية الجو ..

وسرعان ما تأكدت له صحة قراره المفاجئ بالرحيل ..

بعد أن يفرغ من العمل الخطير .. الذى يريد أداءه .

★ ★ ★

بدأ فى العمل ..

• جهز الشرائط الرئيسية .. التى تتضمن المفردات السمعية والبصرية .. صور الأشياء .. والأسماء التى تنطق بها ..

لم تكن هذه القائمة من المفردات اللغوية طويلة جدًا .. وإنما تشمل فقط الكلمات الجوهرية ..

واعتقد (ماجد) أن أى كائن ذكى .. يمكن أن يفهمها .. ويضيف أى تفسيرات لها ..

كان منهمكًا فى إنهاء شريط المفردات .. عندما دلفت (نجوى) إلى داخل غرفة الاتصالات ..

وقفت تنظر فى حيرة لبعض الوقت .. ثم قالت بانفعال :

ـ ماذا تفعل ؟

تنهد (ماجد) وقال كأنه يتحدث إلى نفسه :

ـ سوف أرسل الروبوتات إلى الفضاء .. قبل أن نرحل ..

تساءلت بصوت مفعم بالدهشة :

ـ ترسل الروبوتات !.. إلى أين ؟

بعد فترة ران فيها صمت ثقيل ..

نظر (ماجد) متأملًا فى عينيها السوداوين .. وبشرتها البيضاء وأنفها الرفيع الدقيق وشفتيها الرقيقتين .. وشعرها الكستنائى الناعم ..

قال (ماجد) وقد خيمت فى وجهه .. ظلال قاتمة :

ـ إلى كل مكان يمكنهم الوصول إليه فى الكون .. وسوف يأخذ كل واحد منهم نسخة من الشرائط التى أقوم بإعدادها الآن ..

ردت (نجوى) .. وقد اتسعت عيناها المضطربتان :

ـ لقد فهمت .. إنها رسائل داخل زجاجات من أشخاص يغرقون !

صمتت قليلًا ثم استطردت قائلة :

ـ ... هى الوصية الأخيرة يرسلها جنس يحتضر !

قال (ماجد) وشفتاه منغلقتان قليلًا .. وابتسامة واهنة فوقهما :

ـ ما زلت أعتقد أن جنسنا البشرى لن يموت .. ولكن لو عاش فإنه لابد أن يتقهقر إلى الوراء .. انحدارًا وليس تطورًا .. ربما بدرجة كبيرة ولفترة طويلة .. لهذا يجب ألا تضيع الحضارة الإنسانية التى استمرت آلاف السنين ..

قالت (نجوى) .. وقد مدت ذراعيها على طولهما :

ـ فكرة جميلة ! سوف أساعدك فى تنفيذها .. أعطنى جهاز التسجيل .. ثم تحدثت فى الجهاز بسخرية بالغة :

ـ هذه رسالة الموت .. يبعث بها لكم جنس أباد نفسه !

أبعدَ (ماجد) جهاز التسجيل عنها .. وبعد أن خرجت (نجوى) ..

جلس يمعن التفكير فيما سمع ..

كانت هناك حقيقة على أى حال فيما قالته (نجوى) ..

إن الإنسان كان مسئولاً عن تلويث بيئته .. وتدمير نفسه ..

ولكن هل هذه هى الحقيقة الكاملة ؟

سرعان ما أدرك عدم قدرته على الإجابة على هذا التساؤل بمفرده ..

فهو خارج تخصصه العلمى .. مجرد إنسان عادى ..

ومع هذا فكان عليه ـ كإنسان ـ أن يتم العمل الذى يخلد الحضارة البشرية ..

★ ★ ★

بدأ فى إعداد المعلومات والوثائق التسجيلية فى مجال الفن والعلم والثقافة .. وكل فروع المعرفة ..

ولم تكن هذه بالمهمة المستحيلة .. فقد كانت مكتبة محطة الفضاء زاخرة بالأقراص الضوئية .. التى يتم تخزين المعلومات عليها بوساطة أشعة الليزر ..

فى شكل حفر مجهرية فى طبقة عاكسة رقيقة من الألومنيوم ..

دوائر معارف كاملة .. فوق عدد محدود من الأقراص الضوئية ..

ويمكن بسهولة الحصول على كل المعلومات المطلوبة .. بتشغيل هذه الأقراص بوساطة فيديو ضوئى ليزرى ..

كانت هناك الموسيقى والفنون الأخرى .. والآداب والتاريخ والعلوم .. ومجالات أخرى كثيرة ..

ولابد أن يعيش بعض ذلك فى المستقبل ..

ويصل إلى الحضارات الأخرى فى الكون ..

إنها مسئوليته .. كإنسان ..

وبدأ (ماجد) يشعر بوطأة هذه المهمة .. عندما كان يقرر ما يختاره منها ..

كيف يمكن تقييم النشاط الإنسانى ؟

هل قوانين (نيوتن) أهم من سيمفونيات (بتهوفن) ؟

هل الأهم تذكر محاورات (أفلاطون) أم روايات (نجيب محفوظ) ؟

هل النظرية النسبية أهم من لوحات (ليوناردو دافنشى) ؟

هل أهرامات الجيزة .. تفوق فى أهميتها روائع (شاكسبير) ؟

لقد امتلأ العالم بالكثير .. من الأشياء والأحداث ..

عبر تاريخ الإنسانية ..

وحوربت العديد من القضايا والأفكار ..

وتم خلق وابتكار الكثير من نواحى الجمال ..

وبذل الجهد والفكر والإبداع والخيال ..

فكيف يمكن للإنسان أن يختار .. من بين حضارة امتدت آلاف السنين ؟

★ ★ ★

إنهمك (ماجد) فى تلك المهمة الشاقة ..

وبعد أن انتهى من الشريط الأخير ..

أدرك أنه لم يكن بالشكل الذى يريده ..

ولكن لم يكن لديه الوقت لإعادة المحاولة ..

جلس برهة محدقًا فى الشريط الأخير ..

وشعر بأنه يجب ألا ينهى هذا التسجيل القاصر .. دون أن يضيف إليه كلمات قصيرة .. منه شخصيًا ..

بعد عدة دقائق .. اقترب من جهاز التسجيل .. وقال بصوت متهدج :

ـ إن ما حدث لنا .. كان نتيجة عملنا ذاته .. ولكن لم يأت من الشر .. بقدر ما أتى من العجز .. واللامبالاة ..

توقف للحظات ثم أضاف قائلًا :

ـ .. لقد ورثنا حب المعرفة والفضول من أجدادنا .. وفتح لنا هذا أبوابًا كثيرة .. القدرة والقوة .. والفضاء .. ثم انهار كل شىء لأننا لم نحافظ على حضارتنا .. تعلموا ذلك منا .. وتذكروا أننا فضلنا خطر الكارثة .. على أمان الحياة الوادعة .. أغلق جهاز التسجيل .. وهو مجهد ..

ولم يبق شىء يمكنه عمله .. سوى تشغيل الشرائط الرئيسية فى جهاز النسخ الليزرى .. لإعداد مجموعة كاملة من الشرائط المتطابقة .. لكل واحد من الروبوتات ..

ثم عاد إلى المختبر الذى يوجد به الكائنات الفضائية الآلية الثمانى عشرة ..

★ ★ ★

كانت (نجوى) قلقة .. ومتعجلة لإنهاء هذا العمل ..

ومغادرة محطة الفضاء ..

لهذا فقد اشتركت فى برمجة الروبوتات ..

شعرت بالسعادة وهى تضع الشرائط الرئيسية داخل الروبوت ٣ ..

وكانت قد نزعت اللوحات الطرفية للأعصاب الكهربائية ..

ثم شغلت جهاز تنشيط العقل الصناعى .. والذاكرة الإلكترونية ..

وأدخلت الشفرة المستخدمة كأوامر للمسار فى الفضاء .. وتعليمات عن كيفية الهبوط على أى كوكب مأهول ..

وتسليم الشرائط إذا توافرت بعض الظروف .. التى تدل على وجود حضارة على هذا الكوكب ..

وأوامر بالمغادرة إلى كواكب أخرى .. إذا لم تتوفر هذه الحضارة ..

فلقد كان لهذه الروبوتات قدرات غير محددة .. فى سعة تحركها ..

وانطلقت فعلا إلى أماكن بعيدة .. فى عمق الكون ..

وذات يوم .. بينما كان (ماجد) منهمكا فى فحص الروبوتات .. والتأمل ..

ظلت (نجوى) دقيقة أو اثنتين .. تنظر إليه منعقدة اللسان .. ثم لم تلبث أن انهارت تماما ..

أومأت برأسها بحركة واحدة ..

وانخرطت على الأثر .. فى بكاء ونحيب شديدين ..

أسرع إليها (ماجد) .. ليعرف ما الذى ألمّ بها :

ـ ما الذى حدث يا (نجوى) ؟

رفعت رأسها .. ومسحت عينيها .. وتطلعت إليه فى ذهول مشوب بشىء من الرهبة :

ـ لا أستطيع التحمل .. لا أتصور أن تكون هذه هى النهاية ..

صمتت للحظات ثم تمتمت فى صوت واهن وهى تنتفض :

ـ ... الإنسان أنبل ما فى الوجود ..

ولم تستطع أن تكمل ..

بل بدأت طاقتا أنفها تختلجان فى رجفة متقطعة ...

أمسك (ماجد) يدها وقال فى رقة :

ـ نعلم جميعًا أنها محنة رهيبة .. ولكن يجب أن نتحكم فى أعصابنا .. حتى نستطيع أن نفكر بهدوء فى مصيرنا ..

لم ترد عليه .. فقط أطرقت برأسها ..

أخذ ينعم النظر إليها .. ويتأمل وجهها الفاتن .. تحيط به هالة من بهاء .. عانقها بعينيه ..

فخلال هذه الأيام الأخيرة .. جمعت الألفة .. والمأساة بين القلبين الجريحين .. وأخذت (نجوى) تفيق رويدًا من الصدمة التى أصابتها ..

كانت كمن يخرج بعناء من هوة عميقة .. لا قرار لها ..

قال (ماجد) ونظراته تعزف لحنًا شجيًا :

ـ ما دمت بجانبك .. فلا تخافى من المستقبل .. سوف أفعل كل شىء .. لأسعدك وينتشر ضباب ماسى .. منغم .. فى جو الغرفة .. يلفهما فى طياته ..

قالت وقد تأجج شوقها :

ـ أنا معك .. دائمًا ..

ويتألق الحب ..

برغم الحزن والألم ..

كما تنبت زهرة حمراء صغيرة .. بين الأشواك .. فى الصحراء ..

* * *

إن الروبوتات ليست من البشر ..

وبدلًا من بقائها على سطح الأرض ..

فإنها تسافر إلى أعماق الكون ..

تحمل فى أعماق ذاكراتها الإلكترونية .. قصة مبتكريها .. وصانعيها ..

وحضارة إنسانية .. استمرت آلاف السنين ..

انتهت عملية البرمجة ..

ورانت فترة من الصمت ..

وفى اللحظات المحددة .. تحرك المستكشفون الآليون بهدوء .. إلى خارج المختبر ..

واحدًا وراء الآخر ..

فى رحلة إلى أعماق الكون ..

وداخل غرفة الرصد .. راقب (ماجد) و(نجوى) .. مركبات البحث الفضائية ..

وهى تنطلق من محطة الفضاء (الرازى) ..

ثم لم تلبث أن تسابقت فى السماء .. كما لو كانت متشوقة للرحيل ..

وأخيرًا اختفت عن ناظريهما ..

بعد أن ضاعفت سرعتها لقطع أرجاء الكون الشاسع ..

أين ينتهى المآل بالروبوتات ؟

سوف يهلك بعضها دون شك .. فى دوامات القوى الكونية المروّعة ..

وقد يصل بعضها إلى مجرات أخرى .. لتهبط فوق عوالم مقفرة .. لا حياة فيها ..

ولكن لابد أن يتمكن أحد الروبوتات فى وقت ما ..

وفوق كوكب مجهول ..

من تسليم رسالته إلى من يمكنه فك رموزها ..

وربما يجىء الوقت الذى تسمع فيه موسيقى شوبان ..

آذان غير بشرية ..

ويفكر فى أحداث روايات (نجيب محفوظ) .. عقول كائنات غريبة ..

وهكذا تترك قصة الإنسان بصماتها على الكون بأسره ..

★ ★ ★

انطلقت آخر مركبات البحث الفضائية ..
نظر (ماجد) من خلال عدسة التلسكوب .. إلى كوكب الأرض ..
ثم التفت إلى (نجوى) ولامس شعرها الأسود بأطراف أصابعه ..
قال وهو يتأملها بعمق :
ـ الأمل دائمًا فى وجدان الإنسان .. لابد أن هناك بقعة من الأرض ..
لم يصبها التلوث .. ولا الطاعون ..
شعرت (نجوى) بأن الحب يهيمن على وجودها ..
وأنها تتلاشى فى الفضاء ..
فتسبل أهدابها .. تتصور ما قد يحدث فى المستقبل ..
همست تقول :
ـ إن مهمتنا أسمى من أن نتناساها .. هيا بنا نذهب للوطن .. لكوكب الأرض .. لنبدأ من جديد .. فقد تلقت الإنسانية درسًا قاسيًا ..
وفى المطار الفضائى ..
اتجها إلى سفينة الفضاء الوحيدة ..
سارا جنبًا إلى جنب .. يداهما متشابكتان ..
يجمعهما الحب ..
وبارقة أمل ..
وفى السماء ..
بدت النجوم أشد بريقًا ..
ورهبة ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

رحلة لصيد الديناصورات

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع سالم بالعباسية - القاهرة - ت ٤٨٥٥٥٠

(إعداد)

ـ ١ ـ

بدا أن اللوحة التى على الجدار البلورى .. ترتعش فى ذبذبات متتالية .. وكأنها تحت طبقة من المياة الدافئة .. تنساب عليها ..

شعر (رمزى وجدى) بأن جفنيه يطرفان لا إراديًا ..

وتلاشت الكلمات فى هذا الإظلام اللحظى ..

رحلات إلى الماضى السحيق
شركة السياحة عبر الزمن
رحلات لصيد الديناصورات العملاقة

ابتلع (رمزى) لعابه .. ودفعه إلى أسفل ..

وكوّنت العضلات حول فمه .. ابتسامة ..

بينما كان يرفع يده ببطء فى الهواء .. ويلوح بالقطع الذهبية .. للموظف البدين القابع خلف المكتب .. قائلًا له :

ـ هذا هو أجر الرحلة .. هل تضمنون رجوعى سالمًا من الماضى ؟

قال الموظف فى صوت مرهق .. خفيض :

ـ نحن لا نضمن شيئًا .. إلا صيد الديناصورات !

تسلم القطع الذهبية .. ثم دار بمقعده .. وأشار إلى شخص طويل القامة .. وأردف قائلًا :

ـ هذا هو (كمال فهيم) .. قائد الرحلة ودليلك إلى الماضى .. سوف

يحدد لك أين تطلق النار .. وعليك أن تتبع تعليماته بكل دقة .. وإلا تعرضت للعقاب بحسب القانون الحكومى..

مد (رمزى) بصره .. عبر الحجرة الواسعة .. فوجدها فى حالة من الفوضى .. حيث تمتد خلالها الأسلاك والعلب الصلب الملتوية .. وسط وهج وماض .. ما بين البرتقالى والفضى والأزرق ..

وتذكر كلمات الإعلان عن رحلات الصيد إلى الماضى البعيد ..

التى شاهدها على شاشة التليفزيون المجسم .. منذ أيام ..

من بين المواد المتفحمة والرماد ..

والتراب والفحم ..

مثل العقاب الذهبى ..

تقفز السنوات الماضية والمستقبلية ..

تشاهد الورود التى تعطر الهواء ..

ويتغير لون الشعر الأبيض إلى الأسود الفاحم ..

تختفى التغضنات .. ويرجع كل شىء فى لمح البصر إلى أصل الحياة ..

وتعود حالات الموت .. إلى بداياتها ..

وتشرق الشموس فى السماوات الشرقية الرائعة ..

وتغرب فى المغارب المهيبة ..

وتتناثر الأقمار فى المنظومة الشمسية ..

وتتداخل الكواكب مثل مجموعة الصناديق اليابانية ..

ويعود كل شىء إلى لحظة ميلاده ..

وأصل وجوده ..

وترجع الحياة الى وقت .. ما قبل بدايتها ..

كل ذلك يحدث بلمسة يد واحدة ..
على أزرار آلة الزمن ..

★ ★ ★

همس (رمزى) مبهورًا .. وعيناه تلمعان انفاعلًا . وإثارة :
ـ سوف أصيد الديناصورات !
قال الدليل (كمال فهيم) بصوت بذل كل جهده .. ليجعله متهدجًا .. نابضا بالحرارة :
ـ نوع محدد منها .. التيرانوصور (ركس) .. سحلية الرعد .. أشرس وحوش التاريخ .. والآن عليك بتوقيع هذا الإقرار .. فأى شىء يحدث لك .. لن تكون مسئولين عنه .. إن هذه الديناصورات نهمة .. ولا تشبع ..
جفل (رمزى) .. وقال غاضبًا :
ـ أتحاول أن تفزعنى ؟!
قال (كمال) بسرعة :
ـ بصراحة .. أجل .. إننا لا نريد أى شخص أن يذهب إلى هذا العصر الموغل فى القدم .. وترتعد أوصاله عند رؤية هذه الوحوش الجبارة .. لقد قتل فى العام الماضى .. ستة أشخاص ..!
تريث لبرهة ثم استرسل قائلًا :
ـ .. إننا موجودون هنا .. لإعطائك أقصى إثارة ممكنة .. يبحث عنها كل صياد حقيقى فى يوم من الأيام .. رحلة إلى فجر التاريخ .. ستين مليون عام مضت .. لكى تصيد أعظم الحيوانات فى جميع العصور .. الديناصورات ..

لم يتردد (رمزى) بل قال فى إصرار :
ـ سوف أذهب لصيد الديناصورات !
قال الموظف البدين الجالس وراء المكتب الزجاجى .. بدون اكتراث :
ـ حظًا سعيدًا .. وصيدًا موفقًا ..
سار (رمزى) و(كمال) فى صمت .. وعبرا الحجرة ..
بعد أن اختارا بندقيتين من خزانة ضخمة فى ركن الحجرة ..
متجهين إلى ردهة داخلية ..
حيث ربض فيها جسم فضى .. ذو ضوء مبهر ..
آلة الزمن ..

ـ ٢ ـ

اهتز (رمزى) فوق المقعد الجلدى المبطن ..
كان شاحب الوجه .. متصلب الفك ..
أحس بيديه ترتعشان ..
لكنهما كانتا متشبثتين بقوة .. بالبندقية الجديدة ..
كان معه فى آلة الزمن .. ثلاثة رجال .. وامرأة ..
(كمال فهيم) القائد والدليل ..
ومساعدته (شريفة زكى) .
وصيادان آخران .. (مراد فتحى) و(زكريا ياسين) ..
جلسوا جميعًا فى صمت .. ينظرون إلى بعضهم ..
وهم يرتدون الخوذات الشفافة التى تتصل بمولدات الأكسوجين .. ..
والسنوات تمرق من حولهم بسرعة ..
وتأخذهم آلة الزمن فى رحلة .. إلى ستين مليون سنة فى الماضى ..

تساءل (مراد فتحى) من خلال جهاز الإرسال اللاسلكى بخوذته الشفافة :

ـ هل يمكن لهذه البنادق أن تقتل الديناصور ؟

ونظر إلى بندقيته فى شك ..

أجابه (كمال فهيم) مؤكدًا :

ـ بالطبع .. إذا أصبته بدقة !.. فبعض الديناصورات لها عقلان .. أحدهما فى رأسها .. والآخر بعيدًا أسفل عمودها الفقرى .. وعلينا أن نقف بعيدًا عنها .. ومن يفعل ذلك يكون محظوظًا ..

تريث قليلًا ليتأكد من استيعابهم لهذه المعلومات المهمة .. ثم أردف قائلًا :

ـ .. أطلق الرصاصة الأولى .. والثانية فى عينى ذلك الوحش .. وإذا نجحت .. سوف يصاب بالعمى .. ثم أطلق الرصاص على العقل .. وهكذا تقضى عليه .. أبطأت آلة الزمن من سرعتها ..

واتخفض صوت صراخها إلى مجرد همهمة ..

ثم لم تلبث أن توقفت تمامًا ..

وظهرت الشمس فى سماء ملبدة بالغيوم ..

تبدد الضباب الذى غلّف آلة الزمن ..

وأصبحوا جميعًا فى زمن موغل فى القدم ..

يبعد ستين مليون عام .. عن زمنهم ..

قائد الرحلة ومساعدته .. وثلاثة صيادين ..

يمسكون ببنادقهم المعدنية الزرقاء ..

وعلب الرصاص الفضى ..

يستعدون لصيد أشرس حيوانات التاريخ ..

سحلية الرعد ..

★ ★ ★

خرجوا من آلة الزمن ..

وجلسوا فى القفار القديمة ..

هبت عليهم صرخات الطيور العملاقة .. البعيدة مع الرياح ..

وليس حولهم سوى رائحة القطران ..

والبحر المالح القديم ..

والأعشاب الرطبة ..

والزهور الضخمة التى بلون الدم ..

قال (كمال فهيم) .. وهو يشير إلى ممر معدنى .. يرتفع قليلًا فوق الأرض العشبية .. فوق المستنقعات التى تتصاعد منها الأبخرة .. وبين نباتات السرخس العملاقة ..

ـ هذا هو الممر المعدنى الذى أقامته جمعية رحلات الصيد عبر الزمن .. وهو معلق على مسافة عشرين سنتيمترًا فوق الأرض .. وعليكم ألا تلمسوا ولو ورقة أو زهرة أو شجرة واحدة .. والممر مصنوع من معدن مضاد للجاذبية .. والهدف منه إبعادكم عن لمس علم الماضى هذا .. ومن يترك هذا الممر يتعرض للعقاب بحسب القانون الحكومى .. كما لا يجوز إطلاق النار على أى حيوان .. إلا بعد موافقتى ..

سأله (زكريا يس) فى دهشة :

ـ لماذا ؟

أجابته (شريفة زكى) بصوت جامد النبرات :

ـ نحن لا نريد تغيير المستقبل !.. كما أننا لا ننتمى إلى هذا الماضى .. والمجلس الأعلى الدولى للعلماء لا يريد منا أن نبقى هنا .. إن آلة الزمن مشروع خطير .. له قواعد صارمة .. وإذا لم نعرفها .. فإننا قد نقتل حيوانا ثدييًا أو طائرًا صغيرًا .. أو وردة يانعة .. ومن ثم ندمر حلقة هامة فى نمو جنس من الأجناس ..

تساءل (رمزى وجدى) فى حيرة :

ـ لم أفهم بعد !

قالت (شريفة زكى) بتؤدة .. وهى تتأمله بعمق :

ـ افترض أننا قتلنا أحد الفئران هنا .. هذا يعنى أن كل سلالته ستنقرض .. أليس كذلك ؟

أجابها (زكريا يس) .. والحيرة تبدو فى عينيه :

ـ ولكن ما الذى يعنينا إذا انقرضوا !

رد عليه (كمال فهيم) بحدة :

ما الذى يعنينا !... اسمع .. ما الذى سيحدث للثعالب التى تتغذى على هذه الفئران لتعيش ؟ إن الثعلب يحتاج لعشرة فئران كغذاء وإلا هلك .. والأسد يحتاج لعشرة ثعالب ليعيش .. وبدون الأسد فإن كل أنواع الحشرات والنسور .. وبلايين لا تحصى من صور الحياة .. يصيبها الاضطراب ..

صمت للحظات ثم استرسل قائلًا :

ـ ... وفى النهاية نصل من كل ذلك إلى ما يلى : بعد خمسة وخمسين مليونا من السنوات .. يذهب أحد رجال الكهف .. إنسان ما قبل التاريخ .. لصيد أرنبًا بريًا أو نمرًا حاد الأسنان .. بحثًا عن طعامه .. ولكنك ياصديقى قضيت على جميع النمور والأسود فى هذه المنطقة لمجرد سحقك لفأر واحد .. .. ولذلك فإن رجل الكهف .. سوف يهلك ..

ثم استطرد (كمال فهيم) بصوت خافت :

ـ ... ولا تنس أن رجل الكهف البدائى هذا .. ليس شخصًا واحدًا .. وإنما هو أمة مستقبلية كاملة .. فمن صلبه سوف يولد أبناء وأحفاد .. وهكذا حتى تتكون حضارة إنسانية .. اقتل هذا الرجل .. تقتل جنسًا بأكمله أو شعبًا .. أو كل تاريخ الحياة ..

تتسع عينا (شريفة زكى) وهى تكمل :

ـ ... إن ذلك يشبه قتل أحد أحفاد سيدنا آدم .. إن سحق فأر واحد بقدمك .. سوف تحدث زلزالًا قد تغير نتائجه أرضنا .. ومصيرنا على طول الزمن .. وبموت رجل الكهف هذا .. يختنق بلايين البشر الآخرين الذين لم يولدوا بعد فى أرحام أمهاتهم ..

تشرد نظرات (مراد فتحى) ويتساءل :

ـ إذن علينا أيضًا أن نبتعد عن الحشائش !

رد (كمال فهيم) وهو يعتدل فى جلسته :

ـ تمامًا .. إن تدمير بعض النباتات قد يزيد قليلًا من المخاطر .. إن أى خطأ صغير هنا .. يتضاعف فى ستين مليونًا من السنين .. بنسب رهيبة .. وبالطبع يمكن أن تكون نظريتنا خاطئة .. فلعل الزمن لا يمكن تغييره ..

فكر للحظات ثم أردف مؤكدًا :

ـ ... ولكن يجب أن نكون على حذر تام .. فنحن لا نعرف على وجه الدقة .. عما إذا كان عبثنا بالزمن .. يمكن أن يحدث هديرًا قويًا .. أو أثرًا ضئيلًا على التاريخ .. وكما تعلمون فآلة الزمن .. وهذا الممر المعدنى .. وملابسكم وأجسامكم وأسلحتكم .. كلها معقمة .. كما أننا نرتدى خوذات الأكسوجين الشفافة .. حتى لا نلوث هذا الجو القديم .. بالبكتيريا ..

قال (زكريا يس) بصوت مفعم بالحيرة :

ـ كيف نعرف الحيوانات التى سوف نصيدها ؟

ردت (شريفة) .. تشرح له :

ـ إنها مميزة بطلاء أحمر .. اليوم قبل أن تبدأ رحلتنا إلى الماضى .. أرسلنا القائد (كمال فهيم) إلى هنا بآلة الزمن .. وقد جاء إلى هذا العصر بالذات وطارد بعض الديناصورات ..

نظر (رمزى وجدى) إلى (كمال فهيم) .. بعينين متسائلتين :

ـ لكى تدرسها ؟

أطرق (كمال فهيم) لبرهة ثم أجاب بتؤدة :

ـ هذا صحيح .. إننى أتتبع الديناصورات طوال فترة وجودها على الأرض .. وألاحظ أنها تعيش لفترات أطول .. أو أقصر .. وعندما أكتشف أن أحد الديناصورات ينتظر نهايته بسقوط شجرة عليه أو غرقه فى حفرة

هائلة ممتلئة بالقطران .. فإننى أحدد بالضبط الساعة والدقيقة والثانية .. وأطلق قنبلة لونية عليه .. بحيث تترك على جلده بقعة حمراء مميزة .. ولا يمكننا أن نخطئ فى ذلك ..

تريث (كمال) للحظات ثم استطرد :

ـ ... ثم أربط بين وصولنا إلى هنا .. بحيث نقابل الديناصور قبل موته بفترة لا تزيد على خمس دقائق .. وبهذا فإننا نقتل فقط الحيوانات التى ليس لها مستقبل .. أى التى لن تتزاوج مطلقًا بعد ذلك .. أترى كم نحن حريصين فيما نفعله ؟ .. كما أن الديناصورات قد انقرضت منذ ستين مليون سنة بسبب مجهول !

كانت الغابة القريبة ممتلئة بالتغريدات العالية ..

والزقزقات الحادة ..

والخشخشات المميزة لأوراق الأشجار ..

والهمهمات الغامضة لحيوانات عملاقة ..

والخرير المستمر لبحيرات ما قبل التاريخ ..

وفجأة .. توقفت كل حركة ..

وكأنما أغلق عليها .. باب هائل ..

صمت .. وسكون ..

ثم صوت الرعد ..

ومن بين الضباب المتكاثف .. على بعد مائة متر ..

ظهر التيرانوصور (ركس) .. سحلية الرعد ..

أشرس حيوان فى التاريخ ..

جاء الوحش الهائل .. يسير على أرجل غليظة .. مرنة .. متباعدة .. وعملاقة .. وطوله يعلو عن الأشجار بنحو ثلاثين مترًا ..

مخلوق ضخم يثير الرعب ...

كان يثنى مخالبه الفتاكة .. بالقرب من صدره الزيتى الزاحف ..

وكل قائمة سفلية من قوائمه الأربع ...

كانت مثل مطرقة هائلة من الصلب ..

عبارة عن آلاف الكيلوجرامات من العظام البيضاء .. المدمجة فى حبال سميكة من العضلات ..

وفوقها درع من الجلد المجعد البراق .. كدرع فارس من العصور الوسطى ..

كان كل فخذ يزن طنًا من اللحم والعظام .. والعضلات الصلبة ..

ومن القفص الصدرى الهائل بأعلى الجسم ..

تدلت قائمتاه الأماميتان البشعتان .. اللتان تنتهيان بكفين كبيرتين لدرجة أن كلا منهما .. يمكن أن تمسك بإنسان .. وتتفحصه وكأنه دمية ..

بينما التف العنق الثعبانى .. المروّع ..

وارتفع الرأس الضخم الذى يشبه طنًا من التماثيل الصخرية .. لتناطح السحاب ..

كان فم التيرانوصور (ركس) مفتوحًا ..

يكشف عن سور من الأسنان الكبيرة التى تشبه الخناجر تمامًا ..

أما عيناه فكانتا فى حجم بيض النعامة ..

وتدوران فى محجريهما .. خاليتين من أى تعبير ..

عدا الجوع .. والشره .. والنهم ..

أغلق الوحش فمه ..

وهو يقطب تقطيبة مميتة ..

وفجأة .. أخذ يركض بخطوات رشيقة .. ثابتة .. متوازنة ..

برغم الأطنان العشرة التى تمثل وزنه ..

وكانت أقدامه ذات المخالب .. تقتلع التربة الرطبة .. تاركة آثارًا بعمق عشرين سنتيمترًا .. فى كل مكان يستقر فيه جسمه الهائل .. حتى للحظات دخل الوحش فى حلبة مغمورة بضوء الشمس .. بحذر ..

ويداه الزاحفتان .. تتحسسان المكان ..

★ ★ ★

أخيرًا .. استطاع (رمزى وجدى) أن يتكلم بصوت متحشرج .. وكأنه يختنق :

ـ يا إلهى ! ما هذا المخلوق الهائل ؟

قالت (شريفة زكى) بسرعة .. وهى تحدق فى الوحش :

ـ اصمت ! إنه لم يرنا بعد ..

قال (مراد فتحى) بصوت مفعم باليأس .. وهو يشير إلى الوحش :

ـ لن نتمكن من قتله !

قال (كمال فهيم) فى حدة :

ـ صه !

التفت إليهما (زكريا يس) وقال فى ذهول :

ـ كابوس حىّ ! لم أتصور أن يكون هناك حيوان بهذه الضخامة ..

تصلبت نبرات صوت (شريفة زكى) وهى تقول :

ـ لقد رآنا .. أسرعوا ..

هتف (مراد فتحى) بصوت مرتفع :

- هناك طلاء أحمر على صدره !

رفع التيرانوصور (ركس) نفسه ..

لمع لحمه المدرع مثل آلاف العملات الفضية الخضراء ..

كان مكسوًا بقشرة لزجة تصدر بخارًا ..

وبين طيات الجلد اللزج .. تلوت حشرات صغيرة ..

بحيث بدا الجسم كله ينتفض .. ويتموج حتى لو لم يتحرك الوحش ..

زفر بصوت هائل .. ثم تحرك جبل اللحم المدرع .. وشق طريقه فى البرية .. صرخ (رمزى وجدى) فى هستيريا :

- لن أستطيع أن أواجه هذا الوحش .. إن جسمى كله يرتعد ..

قال (كمال فهيم) بقمة انفعاله :

- إياك أن تتقدم .. عد إلى آلة الزمن .. واختبئ هناك ..

تحرك (رمزى) بصعوبة .. فى هذا العالم الغريب ..

كان ينظر بدهشة إلى أقدامه التى تأبى أن تتحرك بسرعة ..

صرخت (شريفة زكى) فى فزع .. وهى تشير له :

- لا تبتعد عن الممر المعدنى ..

بمجرد أن سمع الوحش الهائل أول صوت ..

اندفع إلى الأمام بسرعة .. وهو يصدر صرخات مفزعة ..

بحيث قطع مائة متر فى أربع ثوان ..

اهتزت البنادق .. وأطلقت نيرانها ..

غمرتهم رياح عاصفة .. هبت عليهم من فم الوحش ..

نتانة اللزوجة .. والدم القديم ..

زمجر الكائن الرهيب .. وضوء الشمس يلمع على أسنانه المرعبة .

- ٤ -

سار (رمزى وجدى) ببطء .. دون أن ينظر خلفه .. وبدون تفكير .. وصل إلى حافة الممر المعدنى وكانت بندقيته مرتخية على ذراعه الأيسر ..

نزل من فوق الممر المعدنى ..

توغل فى الأدغال دون وعى ..

غاصت قدماه فى المستنقع الأخضر ..

وبينما كان يبتعد عن زملائه ..

شعر بوحدة غريبة . فى هذا العالم القديم ..

★ ★ ★

زمجرت البنادق مرة أخرى ..

ولكن ضاع صوتها فى الصراخ .. والصوت الراعد للتيرانوصور (ركس) .. الذى لف الوصلة الضخمة لذيله العملاق ..

وأخذ يضرب بها يمينًا ويسارًا ..

تناثرت الأشجار فى سحب من الأوراق .. والأفرع .. والغبار ..

ثم هز الوحش يديه المتألقتين إلى أسفل ..

لكى يمسك بمن يطلق النار ..

ويحطمه .. ويسحقه .. ويحشره بين أسنانه وحلقه المزمجر ..

ركز عينيه الصخريتين على فريق الصيد .. الذين رأوا صورتهم فيها فأسرعوا بإطلاق نيرانهم .. على الجفون المعدنية .. والقدحية السوداء اللامعة ..

وسقط الوحش ..
كصنم ضخم من الحجارة .. أو كجبل جليد هائل ..
اصطدم الجسم البالغ وزنه عشرة أطنان من اللحم المدرع .. بالأرض .. كان يهدر كالرعد ..
وقد اشتبك جسده بالأشجار القريبة .. التى جرها معه ..
تلوى الوحش بعنف .. فقطع الممر المعدنى ..
وعادت البنادق تطلق نيرانها ..
ضرب الوحش بذيله المدرع فى كل اتجاه ..
وارتعش فكاه الثعبانيان ..
ثم خر ساكنًا ..
وانبثقت من حلقه نافورة من الدم ..
وبدا أن كيسًا من السوائل .. قد انفجر داخل جسده ..
اطمأن الصيادون .. لمنظر تدفق الدماء من الوحش .. والضعف التدريجى له ..
فوقفوا وهم متوترون .. ومتألمون ..
تلاشى صوت الرعد تمامًا ..
وساد الصمت الدغل القريب ..
وبعد موت الوحش .. ساد السلام والسكينة ..
كأنما رحل الشر عن هذا العالم ..
وبعد انتهاء الكابوس .. انبلج الفجر ..
جلس (كمال وشريفة) .. فوق الممر المعدنى ..
ووقف (مراد وزكريا) .. والدخان ما زال يتصاعد من بندقيتيهما ..

أما (رمزى) فقد وجد طريقه إلى آلة الزمن ..
وجلس هناك يرتعد ..

★ ★ ★

مسح فريق الصيد الدم الذى تناثر على خوذاتهم ..
أما الوحش فقد تمدد بلا حراك ..
كتلة هائلة من اللحم المتخشب ..
ومن داخله .. أمكن سماع بعض أصوات الخرير .. والحفيف .. والهمهمة .. إثر الموت المتتالى لأجزاء جسمه ..
وانهيار وظائف أعضائه ..
والانسكاب الأخير للسوائل .. داخل فراغات الجسم ..
كل شىء ينهار .. وتنتهى وظيفته إلى الأبد ..
كان ذلك يشبه الوقوف بجوار قاطرة سكة حديد غارقة ..
أو حفار بخارى عملاق .. وقت انتشاله من المياه ..
حيث تنفصل جميع صماماته .. أو ترفع بوسائل آلية محكمة ..
تشققت عظام الوحش ..
وتحطم لحمه اليابس ..
بعد أن سقط وفقد توازنه ..
وأصبح مجرد كتلة ساكنة ..
وفجأة .. سمعوا صوتًا عاليًا ..
فقد انكسر فرع عملاق من شجرته ..
سقط من عقدة تثبيته ..
وتحطم فوق جثة الوحش ..
معلنًا القضاء المحتم عليه ..

ـ ٥ ـ

نظر (كمال فهيم) إلى ساعته وقال :

ـ فى الوقت المحدد تمامًا .. هذا هو الفرع العملاق الذى كان من المفروض أن يقتل التيرانوصور (ركس) فى الأصل ..

ثم التفت إلى الصيادين وأردف ببساطة :

ـ ... هل تريدان أخذ صورة تذكارية مع الوحش ؟

تساءل (زكريا يس) بدهشة :

ـ ماذا تقول ؟!

ردت (شريفة زكى) توضح الأمر :

ـ إنك لا تستطيع أن تأخذ قطعة من لحم التيرانوصور (ركس) إلى المستقبل .. كتذكار لرحلتك .. فيجب أن يبقى الجسد فى نفس المكان .. حتى تأتى عليه الطيور والحشرات والبكتيريا .. ليظل كل شىء فى حالة توازن بيئى ..

صمتت لبرهة ثم أضافت :

ـ ... ولكن يمكن أخذ صور تذكارية .. وأنت تقف بجانب جثة الوحش .. فهذا لن يغير شيئًا ..

حاول الصيادان أن يفكرا فى الأمر ..

ولكنهما فشلا فى التوصل إلى أى قرار ..

هزا رأسيهما كعلامة للرفض .. وأسلما زمامهما ..

وتبعا القائد ومساعدته على طول الممر المعدنى ..

ثم تهالكا .. جالسين .. وهما منهكان تمامًا .. فوق المقاعد الوثيرة .. داخل آلة الزمن ..

التفتا .. وألقيا نظرات سريعة على الوحش المحطم ..

الكومة الضخمة الجاثمة على الأرض ..

حيث كانت بالفعل بعض الطيور الضخمة .. الزاحفة .. الغريبة ..

والحشرات الهائلة الذهبية اللون ..

مشغولة فى البحث عن طعام لها ..

فى طيات اللحم المدرع .. المتحلل ..

★ ★ ★

صاح (كمال فهيم) بغضب :

ـ انهض ..

قال (رمزى وجدى) بصوت خافت .. وهو ينتصب واقفًا :

ـ إننى آسف ..

صرخ (كمال) بانفعال بالغ .. وهو يصوب إليه بندقيته :

ـ اذهب إلى الممر المعدنى بمفردك .. ولن تعود إلى آلة الزمن .. سنتركك وحيدًا هنا ..

شهقت (شريفة) وقالت :

ـ ما الذى حدث ؟

صاح (كمال فهيم) .. وأصابعه ترتعد :

هذا الأحمق كاد أن يقتلنا ونحن نصطاد الوحش .. والآن .. سبب كارثة ..

انظرى إلى حذائه .. لقد نزل من فوق الممر المعدنى .. وغاص فى المستنقع ..

ويعلم الله وحده .. ما الذى فعله بالزمان .. والتاريخ ..

قال (مراد فتحى) محاولًا تهدئة الموقف :

ـ لقد لصق بعض الوحل بالحذاء .. هذا كل ما فى الأمر !

نظر إليه (كمال) وقال فى حدة :

ـ كيف نكون واثقين ! إن كل شىء يبدو غامضًا فى هذا العالم القديم ..

ثم وجه حديثه إلى (رمزى وجدى) الذى كان يقف ساكنًا شاحب الوجه :

ـ ... أذهب إلى الوحش .. ضع يدك فى فمه .. واستخرج الطلقات كلها .. واحضرها إلى هنا .. فهى لا تنتمى إلى هذا العالم .. وربما تحدث تغييرًا ما .. خذ خنبرى لتستخرج به الطلقات ..

تريث برهة ثم قال مهددًا :

ـ ... هذه هى الطريقة الوحيدة .. لتعود معنا إلى زمننا عام ٢١٩١ .. وإلا بقيت هنا .. وحيدًا !

★ ★ ★

دبت الحياة مرة أخرى فى الأحراش ..

بعد أن امتلأت بالخفقات والهمهمات وصرخات الطيور .. وأصوات الوحوش ..

دار رمزى ببطء لكى ينظر إلى جثة الوحش البدائى ..

هذا التل من الكوابيس .. والرعب ..

وبعد وقت طويل .. انطلق متثاقلًا كمن يمشى وهو نائم على طول الممر المعدنى ..

ورجع بعد عشر دقائق .. وهو يرتعد بشدة ..

وذراعاه مخضبتان بالدماء حتى مرفقيه ..

مد يديه .. وإذ بكل منهما عدد من الطلقات الصلبة .. الفضية ثم وقع مغشيًا عليه .. فى مكانه ..

دون حراك ..

ـ ٦ ـ

فى أثناء رحلة آلة الزمن .. إلى المستقبل ..

نظفوا أيديهم ووجوههم ..

وغيروا ملابسهم ..

وجلس (رمزى) دون أن يتكلم ..

كانوا جميعًا يحدقون فيه ..

صرخ قائلًا :

ـ لماذا تنظرون إلىّ هكذا ؟! لم أفعل شيئًا .. لقد انحرفت عن الممر المعدنى .. فعلقت بعض الأوحال بحذائى .. هذا كل ما فى الأمر ..

قالت (شريفة زكى) وهى تتنهد :

ـ من يدرى ؟

قال (كمال فهيم) بقمة انفعاله :

ـ إننى أحذرك .. لو حدث أى تغيير فى المستقبل .. سوف أقتلك !

ومرت السنون من حولهم ..

وتراكمت الأحداثيات الزمنية ..

١٩٩٩ ٢٠٠٠ ٢١٠٠ ٢١٩٩

توقفت آلة الزمن ..

أخذوا جميعًا يتنفسون بصعوبة ..

بعد هذه الرحلة المخيفة ..

ولكن كان فى الهواء شىء ما ..

اختلاف كيميائى .. خفيف .. وضعيف ..

بحيث أحست به حواسهم اللاواعية ..

وحذرتهم من وجوده .

كما لاحظوا ذلك الاختلاف فى الألوان ..

البيضاء والرمادية والزرقاء والبرتقالية ..

وفى الجدران والأثاث والسماء وراء النافذة ..

وكان هناك جو خاص .. غريب .. يحس به الإنسان ..

اقشعرت أبدانهم .. وارتجفت أيديهم ..

وأخذت مسام أجسامهم .. تتأثر بهذا الإحساس الغامض ..

وبدت وكأنها تنبض ..

لابد أن وراء هذه الجدران عالمًا كاملًا .. من الناس.. والمبانى .. والمواصلات .. والنباتات .. بيئة كاملة ..

لاشك أنها تغيرت أيضًا !

نظروا إلى اللوحة التى كانت على الجدار البلورى ..

كانت الكلمات غريبة .. بلغة غير مفهومة ..

ولم يتكمنوا .. من قراءتها ..

★ ★ ★

شعر (رمزى وجدى) بنفسه وهو يتهالك فوق أحد المقاعد ..

تحسس فى اضطراب .. الطين السميك على حذائه ذى الرقبة ..

أمسك بكتلة من الطين بيد ترتعد ..

قال وقد اشتد وجهه اصفرارًا .. وشحوبًا :

ـ لا .. هذا غير ممكن .. ليس شيئًا ضئيلًا مثل هذا .. مستحيل !

إذ كان مدفونًا فى الطين ..

فراشة ضخمة .. رائعة الجمال .. ذات ألوان خضراء .. وذهبية .. وسوداء .. ولكنها كانت ميتة تمامًا !

صاح (مراد فتحى) .. وفى صوته نبرات .. ترتجف :

ـ ليس شيئًا صغيرًا .. مثل هذا ! مجرد فراشة ! تغير كل شىء !

سقطت الفراشة الكبيرة على الأرض ..

مجرد شىء فانٍ .. ضئيل .. يمكنه أن يقلب التوازنات البيئية ..

سلسلة من التغيرات البسيطة .. تكبر .. ثم تتضخم ..

بمرور ملايين السنوات ..

واختراق حاجز الزمن ..

انتحب (رمزى وجدى) .. وسقط على ركبتيه ..

وأخذ يبحث عن الفراشة الذهبية بأصابع ترتعد ..

تمتم متوسلًا .. إلى نفسه .. وإلى الصيَّادين .. والقائد ومساعدته .. وآلة الزمن .. والعالم كله ..

ـ ألا يمكننا أن نرجع بها عبر الزمن .. ونبدأ من جديد ؟ .. ألا يمكننا ؟ لا تقفوا صامتين هكذا .. أخبرونى .. أرجوكم ..

لم يتحرك أحد من مكانه ..

أو ينبس ببنت شفة ..

أغلق (رمزى) عينيه .. وانتظر .. وهو يرتعد ..

سمع (كمال فهيم) يتنفس بصوت عال فى الحجرة الساكنة ..

ثم يحرك بندقيته ..

ويرفعها أمامه ..

ويصوبها ..

ويضغط على الزناد ..

ثم سمع صوت مدو ..

كالرعد ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

لغز .. من الفضاء

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

لاحظ المهندس (أسعد فوزى) الضوء الأحمر .. الوماض .. فى أجهزة القياس والتحكم .. داخل سيارته ..

بينما كان يسير فى أحد طرق مصيف شرم الشيخ .. حيث كان يقضى عطلته أوقف المحرك النفاث .. وشغّل جهاز الاتصال المرئى ..

غمغم قائلًا ..

ـ ماذا تريدين يا (فايزة) ؟

ظهرت صورة مساعدته (فايزة كريم) فوق الشاشة الصغيرة .. داخل سيارته ..

ـ آسفة ياسيدى .. ولكن قائد القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) .. يريد منك الحضور فورًا ..

اعترض أسعد قائلًا :

ـ ألا تعلمين أننى فى إجازة ؟!

قالت وفى صوتها رنة الاعتذار :

ـ إنها الأوامر ياسيدى !

كان هناك قمر رائع فوق شرم الشيخ ..

والأمواج تتلاطم على الشاطئ الخلاب ..

ومن مكان ما .. انسابت موسيقى هادئة .. ورومانسية ..

ووصل إلى أسماعه رنين ضحكات شابة .. وسط نسيم البحر ..

ـ ما الذى حدث يا (فايزة) ؟

بدت الحيرة فى عينيها السوداوين الرائعتين ..

ـ لا أعرف ياسيدى .. ولكن الأمر عاجل .. وخطير ..

أسرع (أسعد) بسيارته فى منعطف حاد ..

ثم انطلق يسابق الريح فى الشارع الرئيسى الذى يضج بالضوضاء ..

وبعد نصف ساعة .. كانت القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) .. بمدينة نويبع .. تبدو على مرمى البصر ..

بأنوارها المتألقة .. المميزة ..

ـ ١ ـ

أدخله حرس البوابة الرئيسية فى الحال ..

بعد التأكد من شخصيته ..

تقدم اثنان من رجال الأمن ليفسحا أمامه الطريق ..

وسط حشد من رجال الإعلام ..

الصحافة والإذاعة والتليفزيون ..

الذين اصطفوا على طول شارع القاعدة الفضائية ..

قابلته (فايزة كريم) عند مدخل المبنى الرئيسى ..

بادرته قائلة .. وهى ترفع خصلة من شعرها الكستنائى الناعم :

ـ آسفة ياسيدى .. ولكن ..

قال أسعد بسرعة :

ـ والآن .. ما هو الأمر العاجل ؟

ناولته (فايزة) مجموعة من التقارير التى تحمل أختامًا سرية ثقيلة ..

دخل إلى مكتبه .. وأخذ يتفحصها بدقة بالغة ..

قالت (فايزة) .. وهى تزوى ما بين عينيها :

ـ رأيت بالطبع رجال الإعلام .. إن الرؤساء يعتقدون أنه سوف تحدث اضطرابات .. وهستيريا ..

نظر إليها أسعد فى حيرة :

ـ هل من سبب لذلك ؟

سكتت (فايزة) لحظات ..

ثم قالت بغتة فى نبرة من يكشف سرًا .. خطيرًا :

ـ إن سفينة الفضاء تقترب من كوكب الأرض .. بسرعة رهيبة .. تكاد تبلغ سرعة الضوء ..

تطلع (أسعد) إلى التقارير وهو مقطب الجبين ..

شرد للحظات ..

وأفاق على صوت (فايزة) المتوتر :

ـ لقد اتصلوا بنا .. أعنى الكائنات الأخرى ..

التفت إليها .. وقال بدهشة بالغة :

ـ ماذا ؟

قالت مؤكدة :

ـ بالشفرة المتعامل بها بين الكواكب .. يقولون إنهم قادمون إلينا فى سلام .. هذا كل ما فى الأمر .. مجرد رسالة بسيطة .. إن المسئولين بالقاعدة الفضائية فعلوا كل ما أمكنهم .. لمعرفة ما هو المتوقع من هذا الغزو .. والاستعداد له ..

صمتت لبرهة ثم أردفت بصوتها الذى يظل محتفظًا بهدوئه :

ـ .. ورأى فريق منهم أن بعض الأعمال الهندسية قد تكون لازمة .. ولهذا أرسلوا فى طلبك ..

ردد (أسعد) بعض الكلمات دون تفكير .. وقد استبدت به الدهشة :

ـ استخدموا الشفرة المتعامل بها .. بين الكواكب !

قالت (فايزة) .. وهى غارقة فى خواطرها :

ـ نعم .. ولكن لا يوجد شىء مثيل لذلك .. فى كل المنظومة الشمسية .. إن بعض الصور التى التقطتها محطات الفضاء والأقمار الصناعية .. تجرى دراستها بوساطة الكمبيوتر الضوئى فى الوقت الحاضر ..

تتريث للحظات ثم تردف شاردة :

ـ ... كما أن أحد المراصد الراديوية فى الأقصر .. قد استقبل إشارة جديدة من إحدى المجرات القريبة ..

ويبتلع السكون جملتها الأخيرة ..

ـ ٢ ـ

هبطت المركبة المعدنية الضخمة ببطء شديد ..

فى تلامس رائع على الشريحة الأرضية المخصصة لها ..

فوق القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) ..

حلقت لدقائق فوق المركز الهندسى للممر الطويل ..

ثم رست عليه .. دون أن تثير ذرة تراب واحدة !

لم يصدر عنها أى صوت ..

ولا أى نفحة من دخان .. من أى جزء منها ..

وفى الحال .. ارتفعت لعدة أمتار .. فوق الخرسانة ..

وبدأت فى التحرك تجاه مكان الهبوط .. بنفس سهولة انعدام وزن المنطاد القديم .. فى يوم ساكن الرياح ..

كانت سفينة الفضاء بالتأكيد .. أكبر وأغرب جسم معدنى .. شوهد من قبل فى القاعدة الفضائية ..

هرع طاقم من رجال الاتصالات الكونية ..

إلى الحيز الضخم أعلى برج مرصد أشعة جاما ..
ثم سلطوا ضوءًا ليزريًا ناصعًا .. على سفينة الفضاء ..
قال (أسعد) وهو ينظر إلى صورة سفينة الفضاء على شاشة الكمبيوتر :
ـ تكنولوجيا متطورة للغاية !
يغلف الشرود من جديد لهجة (فايزة) :
ـ أجهزة دفع للتوقف !
فجأة .. إنبعثت عدة كلمات من داخل سفينة الفضاء ..
ـ يا أهل الأرض !
كان الصوت منخفضًا .. غليظًا .. وغريبًا ..
وخاليًا تمامًا من أى حماس .. أو أثر من العواطف الإنسانية ..
ـ ... إن أجناس (يولا) يحيونكم ..
غمغمت (فايزة) .. وهى ترفع حاجبيها فى دهشة :
ـ يا إلهى !
ركز كثير من رجال الإعلام .. أجهزتهم وكاميراتهم على الجسم الغريب .. المتألق بأشعة الليزر ..
ـ ... ويريدون التحدث معكم .. ومناقشتكم ..
يحاول (أسعد) بجهد أن يستوعب الكلمات .. ويقول فى حيرة :
ـ وحتى باللغة التى نتحدث بها !
أخذ الصوت يرتفع .. ويبدو قبيحًا ..
ولكن لم يكن به لمحة واحدة بشرية ..
أما كلماته الفردية .. فكانت صحيحة .. واضحة ..

ـ ... لقد راقبنا كوكبكم .. لفترة طويلة .. ولاحظنا ما حققتموه من تقدم .. أحس (أسعد) و(فايزة) .. بلهجة الاحتقار فى الجملة الأخيرة ..
ـ ... إنكم على وشك الاقتراب من منظومتنا النجمية (الشعرى اليمانية) .. لذلك أصبح من الضرورى اتصال أجناس (يولا) بكم ..
أنصت كل من بالقاعدة الفضائية .. فى ترقب :
ـ ... إن تقدمكم العلمى والتكنولوجى ما يزال ضئيلاً .. فأنتم لم تصلوا إلا إلى أربعة من كواكب منظومتكم الشمسية ذاتها .. وحاولتم بنجاح محدود أن تستعمروها ..
تريث الصوت قليلًا ثم استرسل قائلًا :
ـ ... إنكم تسيطرون بصعوبة على الظروف الفيزيائية لعالمكم .. لأنكم تتأثرون بقوانين طبيعية لا تفهمونها جيدًا مثل نظرية الأوتار الكونية والفائقة .. والكواركات .. اللبنة الأساسية للمادة فى الكون .. أنتم ضحية أبدية للقوى الفيزيائية .. التى لا تكادون تعرفونها ..
همست (فايزة) بصوتها الدافئ :
ـ يالهم من مغرورين !
ـ إن جنسكم يقبل مبدأ الإبادة الجماعية .. فأنتم تحاربون .. وتقتلون .. وتدمرون .. بلا رحمة لتحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية .. إنكم تعيشون فى وسط جو من الشك والحسد والتهديد .. ولهذا فإن أجناس المنظومات النجمية الأخرى .. لن يرحبوا بكم فى أرجاء الكون الشاسع ..

تشعر (فايزة) بدوار .. فتغمض عينيها ..
ويشرد (أسعد) فى لحظة بعيدة ..
ـ ... لقد قمنا بزيارتكم للحصول على مزيد من المعلومات عنكم .. وجمع البيانات التى سوف تحدد اتجاهاتكم ونواياكم .. يأهل الأرض إن لديكم القوة .. وهى ليست عظيمة .. ولكنها تتضمن تهديدًا ما .. ونحن أجناس (يولا) .. نرغب فى معرفة مدى هذا التهديد لنا .. وسوف نبدأ فى اختباره .. فجأة .. تحول أحد جوانب سفينة الفضاء .. إلى صورة محددة .. لوحة ضخمة بخطوط بيضاء على خلفية زرقاء ..
أخذت تتضح رويدًا ..
ركزت مئات الكميرات عدساتها .. على اللوحة بعد اكتمالها ..
سيف هائل يتألق .. مشهر نحو الفضاء .. !

★ ★ ★

عاد الصوت الغريب يقول :
ـ يأهل الأرض .. ادرسوا هذه اللوحة .. إن بالسيف خطأ ما .. صححوا ما ترونه غير مفيد فيه .. هذا هو الاختبار .. وسوف نعود بعد ثلاثة أيام حسب زمنكم . لنعرف الحل الذى توصلتم إليه ..
وعلى الفور .. بدأت سفينة الفضاء المعدنية .. تتحرك فى سكون تام .. وسارت بسرعة هائلة عبر ساحة القاعدة الفضائية ..
ووقفت لفترة .. جاثمة على الشريط الأرضى ..
ثم اختفت فى لمح البصر ..

ـ ٣ ـ

ألقى المهندس (أسعد فوزى) الصحيفة اليومية .. التى انطلقت من فتحة خاصة .. الكمبيوتر ..

وقال بصوت مفعم بالسخرية :
ـ اجتماع آخر للمجلس الأعلى الدولى للعلماء !
وكان المجلس قد تمكن من تحمل عاصفة النقد .. واجتيازها ..
وتم استدعاء ممثل جماعة المهاجرين إلى كوكب الزهرة ..
وأعفى من منصبه السياسى ..
وقامت لجنة الأمن بحراسة مداخل القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) .. لفترة من الزمن ..
إلا أن التداعيات العاطفية الهائلة .. لليوم الأول ..
فتحت الباب تدريجيًا لاتهام بعض لجان المجلس الأعلى بالضعف ..
وكانت وسائل الإعلام ما زالت تدين المجلس لسماحه للكائنات الغريبة بالهبوط فى القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) بمدينة نويبع ..
ويناصرهم الكثيرون فى اتهاماتهم هذه ..
كما طالب بعض العسكريين بقيام الأسطول الفضائى الدولى .. بمطاردة الزوّار المتغطرسين ..
بينما كان هناك كثير من السذج .. الذين يرون تجاهل مضمون ونتائج الرسالة الغريبة .. والتهديد الكامن فيها ..
ولكن سرعان ما استعاد الناس ثقتهم فى المجلس الأعلى الدولى للعلماء ..

★ ★ ★

تنهد المهندس (أسعد) وقال :
ـ سوف يستمرون فى هذه الخلافات .. والخطب .. إلى آخر المدى ..
أومأت (فايزة) برأسها موافقة :
ـ وماذا لديهم سوى ذلك ؟ إن إلقاء الخطب وتردد المزاعم المختلفة .. طريقة مثلى للهروب .. مما لا يمكن فهمه .. أو التوصل إلى حل جذرى له .. شرد (أسعد) فى تأملاته ثم قال :

ـ انصتى إلى هذا !

أخرج رزمة من التقارير .. وبدأ فى قراءة أحدها :

ـ من تحليل استخدام كلمات الكائنات الغريبة .. يتضح المعرفة التامة بلغتنا .. كما يدل المضمون الفكرى .. واللهجة اللفظية العامة للخطاب الغامض .. على درجة عالية من الذكاء ..

كان الدكتور (أشرف كامل) الذى كتب هذا التقرير .. واحدًا من أبرع خبراء اللغة فى المنظومة الشمسية ..

وهو العقل العبقرى الذى كشف أخيرًا اللغة الشعائرية القديمة التى وجدها العلماء مكتوبة على أعمدة المعابد المثلثة .. فوق كوكب المريخ ..

تتسع عينا (فايزة) .. وهى تقترب منه .. ويخفت صوتها :

ـ ماذا ستكتب فى التقرير الهندسى .. عندما تتفرغ لكتابته ؟

يفغر فاه .

ـ التقرير الهندسى ! ما الذى تتكلمين عنه ؟

يسبح سؤاله فى عينيها الواسعتين ..

أشارت إلى ورقة موضوعة على المكتب :

ـ ألم تقرأ المذكرة التى جاءت فى البريد اليوم ؟ إنها تطالب كل قسم بالقاعدة الفضائية (ابن الهيثم) .. بتقديم تقرير مبدئى .. اليوم .. قبل الساعة العاشرة مساء ..

خطف (أسعد) الورقة الصفراء .. الرقيقة .. وقال :

ـ إننى لم أشاهدها من قبل ! ولكن أخبرينى .. ما علاقة السيف .. بالهندسة ؟

ردت عليه بسخرية .. بالرغم منها :

ـ وما علاقته بعلم اللغة .. الألفاظ والكلمات ؟

وتمضى إلى خارج الحجرة .. بجسمها الرشيق .. وشعرها المتألق ..

نظراته ترافق طيفها ..

تطير أفكاره إلى الأمس ..

ويتذكر عبارات الكائنات الغريبة :

ـ ادرسوا هذه اللوحة .. إن بالسيف خطأ ما .. صححوا ما ترونه غير مفيد فيه .. وسوف نعود بعد ثلاثة أيام .. حسب زمنكم .. لنعرف الحل الذى توصلتم إليه ..

اتقدت عينا (أسعد) ..

فقد كان عليه أن يغادر الحجرة سريعًا .. ويملى تقريره على سكرتيرته .. ولكن لم يكن هناك أى فائدة .. من التمادى وراء فرض معين ..

كان متعبًا إلى أقصى حد .. لدرجة أنه لا يستطيع أن يفكر جيدًا ..
بل يحتاج إلى قسط وافر من النوم ..
تفحص جيدًا .. صورة السيف الهائل .. المشهر نحو الفضاء ..
حاول أن يركز فيها .. بكل قوته الذهنية ..
يرفع رأسه .. ويتساءل فى إرهاق :
ـ ما هى المساعدة الممكنة التى يمكن أن يقدمها مهندس .. لحل هذا اللغز .. القادم من الفضاء ؟

ـ ٤ ـ

تنهد المهندس (أسعد) فى يأس ..
شعر برهبة ..
وتشكل فى ذهنه .. سؤال هام :
ـ ما الذى يمكن عمله لنجعل السيف .. مفيدًا ؟!
كان يعلم جيدًا .. أن السيوف استخدمت دائمًا فى الحروب القديمة ..
خاصة فى المبارزات الفردية ..
فى الغزوات الإسلامية ..
فى العصور الوسطى ..
ومعارك (صلاح الدين الأيوبى) .. والمماليك ..
السيوف القصيرة .. والخناجر ..
التى كانت تستخدم فى الاغتيالات .. تحت جنح الظلام ..
أيام حكم الدولة العثمانية .. فى (تركيا) ..
وفى (إيطاليا) فى أثناء حكم (آل بورجيا) ..

إن السيف .. أداة قتل ..
وليس له غرض آخر ..
لقد توقع (أسعد) الكثير .. عندما سمع كلمة (اختبار) .. التى وردت ضمن رسالة الكائنات الغريبة ..
ظن أنهم سوف يسألون عن أجهزة معقدة جديدة ..
أو بعض الأساليب التكنولوجية المتطورة ..
فى مجال الإلكترونيات على سبيل المثال ..
أو جهاز يجب تجميعه .. فى ترتيب مستحيل ..
وهذا شىء يناسب تمامًا ..
تصميم .. وصناعة .. سفينة الفضاء المعدنية .. الغريبة .. التى تنطلق بسرعة الضوء ..
ولكن مجرد سيف .. موجه إلى الفضاء!
يتأمل (أسعد) صورة اللوحة مليًا ..
يبدو أن اللغز القادم من الفضاء ..
فكرى أكثر منه تكنولوجى..
ألقى (أسعد) القلم الرصاص على مكتبه بعنف ..
ثم وقف وارتدى سترته ..
وغادر الحجرة ..
وفى رأسه خضم من الأفكار المتناثرة ..
التى لا يجمعها خيط واحد ..

★ ★ ★

وجد فى الخارج .. زحامًا من البشر ..
وشخص ما يقف بينهم خطيبًا ..

كان رفيع الوجه .. جاحظ العينين .. أصلع الشعر ..:

ـ نعم أيها الإخوة .. إن البشر لديهم كبرياء زائفة ..

شق (أسعد) طريقه بينهم .. وهو يتساءل .. مِن أين جاء كل هؤلاء الناس .. إلى الساحة الملاصقة للقاعدة الفضائية ؟!

سمع الخطيب وهو يقول :

ـ ... إن الكائنات الغريبة تستخف بقعولنا .. وتعطينا لغزًا سهلًا .. يمكن لأى شخص متوسط الذكاء .. أن يحله ..!

غشت المكان ضحكات قصيرة بين الزحام ..

ولكن سرعان ما تبددت ..

عندما ارتفع صوت الرجل قائلًا :

ـ ... إن السيف أيها الإخوة .. موجود فى كل كتب التاريخ .. وفى الأساطير .. والحكايات الشعبية .. مثل قصة (أبوزيد الهلالى) .. وقصص (ألف ليلة وليلة) ..

تريث قليلًا ليلتقط أنفاسه .. ثم استرسل :

ـ .. السيف .. سلاح بتار .. قاتل .. يُظهر الشجاعة الحقيقية للمقاتل .. المواجهة الفردية .. المعارك الحقيقية .. عندما كانت الحروب تعتمد على شجاعة المقاتلين .. وليس مجرد الضغط على مجموعة أزرار فوق لوحة مفاتيح الكمبيوتر ..

وأدرك المهندسُ (أسعد فوزى) .. أن عظماء الرجال الذين كتبوا الأساطير .. والحكايات الشعبية .. والتاريخ ..

كانت معرفتهم العلمية بالسيف قليلة ..

مجرد أنه سلاح المقاتل الشجاع ..

كانوا يقومون ببساطة بوصف هذا السلاح .. كما يحكى كاتب الخيال العلمى .. عن انفجار هائل يدمر كوكبًا بأكمله ..

دون أن يخبرنا بالسبب .. أكثر من أنه مجرد سلاح !

تذكر ما قالته (فايزة) .. وهى تتأمله بعمق :

ـ السيف سلاح قديم .. لذا ربما نجد حل لغز الفضاء .. فى كتب التاريخ ..!

★ ★ ★

ابتسم رئيس المجلس الأعلى الدولى للعلماء وهو يقول :

ـ إن محتويات التقارير التى قدمت من كل الأقسام الفنية .. بالقاعدة الفضائية (ابن الهيثم) .. تمثل أعظم تجمع للاستنتاجات المتخصصة .. التى أجريت لموضوع واحد .. فى أى وقت مضى ..

تمهل قليلًا ثم أردف وهو مقطب الجبين :

ـ ... ولكن لسوء الحظ يظل اللغز القادم من الفضاء .. دون حل ..

توقف لينظر إلى ساعة معصمه ..

ـ ... سوف تعود الكائنات الغريبة بعد ساعة .. وكما تعلمون فإن لدينا تصورًا واحدًا يمكن اللجوء إليه .. إنها القوة الحربية أيها السادة .. وهى ليست شيئًا تافهًا .. كما أنها تحت سيطرتنا .. وتمثل تكنولوجيا التحالف بين كواكب المنظومة الشمسية !

تريث لعدة ثوان ثم استطرد فى إصرار من اتخذ قرارًا شاقًا :

ـ ... أيها السادة سوف أقدم اقتراحًا .. بإعلان الحرب على الكائنات الغريبة .. أخذت أصوات الأعضاء ..

بوساطة الكمبيوترات الضوئية الموجودة أمام كل منهم ..

ولم يكن هناك.. اعتراض واحد..

- ٥ -

وصلت الكائنات الغريبة فى الموعد المحدد تمامًا ..
ظهرت سفينة الفضاء .. كنقطة مضيئة فى السماء ..
ثم لم يلبث أن ازداد حجمها .. بسرعة هائلة ..
واستقرت فى هبوط رائع ..
فى المكان المخصص تمامًا .. على أرض القاعدة الفضائية (ابن الهيثم) ..
دوى الصوت الغامض .. المميز ..
من داخل سفينة الفضاء ..
كانت لهجته متعالية .. جافة ..
- يا أهل الأرض .. لقد جئنا لنعرف الحل الذى توصلتم إليه !
فى هذه اللحظات ..
استعد مائة من أطقم المدافع الليزرية ..
خلف الألواح الواقية من الإنفجار ..
والتى تختفى بعناية داخل مبان هيكلية .. خادعة ..
كانوا فى انتظار إشارة بدء الهجوم ..

★ ★ ★

اندفع المهندس (أسعد فوزى) من مبنى الإدارة .. داخل القاعدة الفضائية .. ركض بأقصى سرعته ..
قذيفة بشرية تنطلق نحو الهدف ..

تصبب العرق من جبينه الذى لوحته الشمس ..
تعالى صوت وقع أقدامه خلال القاعات الطويلة .. الصامتة ..
كان متجها لمخرج الطوارئ .. الذى يقود مباشرة إلى أماكن هبوط سفن الفضاء ..
ولكنه وجد جميع الأبواب مغلقة إلكترونيًا ..
تنفيذًا لتعليمات لجنة الطوارئ .. والأمن ..
أدرك أن الطريق الوحيد له ..
أن يقفز من فوق الجدار ..
ليصل إلى سفينة الفضاء الغريبة ..
قفز إلى أعلى .. ليتشبث بحافة الجدار ..
ولكنه فشل فى المحاولة ..
دوى الصوت الأجش من داخل سفينة الفضاء .. للمرة الثانية :
- يا أهل الأرض .. لقد حضرنا لنعرف الحل الذى توصلتم إليه ..
ركض (أسعد) ناحية الجدار مرة أخرى ..
تمهل قليلًا ليستجمع قواه .. ويلتقط أنفاسه ..
قفز بسرعة .. بعزم .. وتصميم ..
فى هذه المرة .. تمكن من الإمساك بحافة الجدار بيديه ..
داس بقدمه اليمنى فى الخرسانة القوية ..
وشدد من قوة قبضتيه ..
وبدأ يجذب جسمه إلى أعلى ..
وسرعان ما أصبح فوق الجدار ..
ثم فى الساحة الخلفية ..

على مسافة مائة متر من سفينة الفضاء المتألقة ..
صرخ قائلًا وهو يلهث :
ـ انتظروا .. انتظروا ..
وقف للحظات ليلتقط أنفاسه ..
ثم أمسك بورقة من جيبه ..
واقترب من سفينة الفضاء ..
ثم وضعها أمامها ..
وقال وهو يتراجع خطوات إلى الوراء ..:
ـ هذا هو الحل ..
لم تصدر الأوامر بإطلاق النار ..
مرت برهة طويلة من الصمت التام ..
شمل المكان كله .. كعباءة قاتمة ..
ولم يتحرك أى إنسان ..
حتى الأشجار ظلت ساكنة ..
تعالى الصوت الأجش المميز .. من داخل سفينة الفضاء ..:
ـ يبدو أن الحل المقدم .. صحيح .. شكرًا يا أهل الأرض !

ـ ٦ ـ

غادرت سفينة الفضاء القاعدة بعد ثلاثة أيام ..
على أن تبدأ الاتصالات المنظمة فى خلال أسبوع ..
بحيث تحل الاجتماعات المستقبلية .. كل المشاكل التكنولوجية ..
وتم كتابة مسودات لاتفاقات تجارية ذات ضمانات كافية ..

وأرسلت إلى سفينة الفضاء ..
لقد حدث تآلف .. وانسجام بين البشر .. وأجناس (يولا) ..
وساد السلام بينهما ..

★ ★ ★

فى اجتماع المجلس الأعلى الدولى للعلماء ..
شرح المهندس (أسعد فوزى) الأمر كله ..
وسر اكتشافه لحل اللغز القادم من الفضاء ..
قال بلهجة صادقة.. سريعة :
ـ كنا نتوقع جميعًا .. أن يكون الاختبار .. استعراضًا للقوة .. أى إظهار العضلات التكنولوجية !
قال رئيس المجلس فى حيرة :
ـ أكاد لا أفهم شيئًا !
رد المهندس (أسعد) بتؤدة.. وثقة :
ـ لقد كنا متواضعين بخصوص تكنولوجيتنا .. ربما تكون الكائنات الغريبة أكثر تقدمًا .. ولكن ماذا عن تفوقهم الثقافى ؟.. أيها السادة أرجو أن تسألوا أنفسكم : كيف يمكن لحضارة صنعت هذه السفينة الفائقة ..أن تستمر دون أن تدمر نفسها ؟
لم يرد أحد على هذا التساؤل ..
استرسل المهندس (أسعد فوزى) قائلًا :
ـ ... لقد أنتجوا القوة التى تكفى لإطلاق سفينة فضاء بسرعة الضوء .. ولابد أنهم عرفوا أيضًا .. كيف يتحكمون فى هذه القوة .. ويتعايشون معها ..

أطرق رئيس المجلس برأسه ..

وأخذ يعبث ببعض الأوراق أمامه ..

ثم قال وهو يبتسم :

ـ الأفضل أن تشرح لنا موضوع .. السيف ..

رد (أسعد) مفكرًا :

ـ إن السيف هو قمة هذه القضية .. لقد قالت الكائنات عن السيف .. إنه معيب .. و ..

قاطعه مدير القاعدة الفضائية :

ـ لكن السيف .. سلاح قديم .. استخدم فى المعارك الحربية منذ منات السنين !

استرخى (أسعد) فى مقعده .. وأخذ يشرح الأمر :

ـ فى الأصل .. صنع السيف كوسيلة للسيطرة الاجتماعية .. فهل أدى السيف أو أى سلاح لاحق له .. أى وظيفة أفضل ؟.. وعندما استخدم الإنسان .. السيوف والبنادق والصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية والجرثومية .. أدى هذا به .. إلى أن يواجه فوضى مخيفة .. تنشأ من وجود مشاكل لا تُحل .. وضحالة فكرية خطيرة .. وعواقب مروّعة .

تساءل رئيس المجلس .. وهو يحدق أمامه :

ـ هل تعنى أن السيف غير مفيد ؟

رد (أسعد) بسرعة :

ـ تمامًا .. وعندما قالت الكائنات .. صححوا ما ترونه غير مفيد فيه ..

معناه أن نجعل السيف شيئًا آخر .. وهنا نتساءل .. ماذا يمكننا أن نفعل بالسيف بخلاف استخدامه كسلاح ؟

ساد صمت ثقيل فرض نفسه .. داخل قاعة الاجتماعات الكبرى ..

نظر (أسعد) إلى العلماء الواجمين .. وقال ببطء ..:

ـ لقد بحثت عن حل اللغز الفضائى .. فى كتب التاريخ .. ووجدت أخيرًا ضالتى المنشودة .. فى أحد بنود معاهدات الصلح التى أبرمت فى العصور الوسطى :

[علينا أن نحوّل سيوفنا إلى محاريث للأرض .. وحرابنا إلى مناجل لحصد المنتجات الزراعية .. وعلى أى دولة ألا ترفع السيف فى وجه الدولة الأخرى .. وألا تشن عليها الحرب .. فى أى وقت من الأوقات]

همس رئيس المجلس :

ـ إذن هذا هو حل لغز الفضاء !

رد (أسعد) فى كلمات متمهلة .. واضحة :

ـ أجل .. لقد أرادت الكائنات اختبار مدى رغبتنا فى السلام .. بتحويل السيوف .. سلاح الحرب .. إلى أداة سلام ونماء .. ولكن الأمر ليس ذلك فقط .. بل يجب أن تُحوّل حضارتنا .. جميع سيوفها .. أى السيوف الفكرية والحديدية .. إلى محاريث للزراعة .. أى وسيلة للخير .. والرخاء .. إن مدى قبولنا لدى الأجناس التى تسكن المجرات الأخرى .. يعتمد على أن ننهى كل الخلافات .. والحروب بيننا .. وأن يسود السلام فوق كوكب الأرض ..

وفى ركن قاعة الاجتماعات الكبرى .. جلست (فايزة) وحيدة ..

تصفو ملامحها .. وتشرد ..

تشخص عيناها إلى المهندس (أسعد فوزى) ..

نظراتها تحيطه بهالة من حنان ..

تتأمل أصابعها .. وتهمس ..

ـ وهل يسود السلام .. إلا إذا امتلأت قلوبنا بالحب .. وشعرنا بلحظات السعادة الحقيقية .. وأصبحت كل حياتنا .. ومضات من عبير ..

وتظهر دمعة حبيسة فى عينيها ..

فتمسحها بأنامل .. ترتعد ..

روايات مصرية للجيب

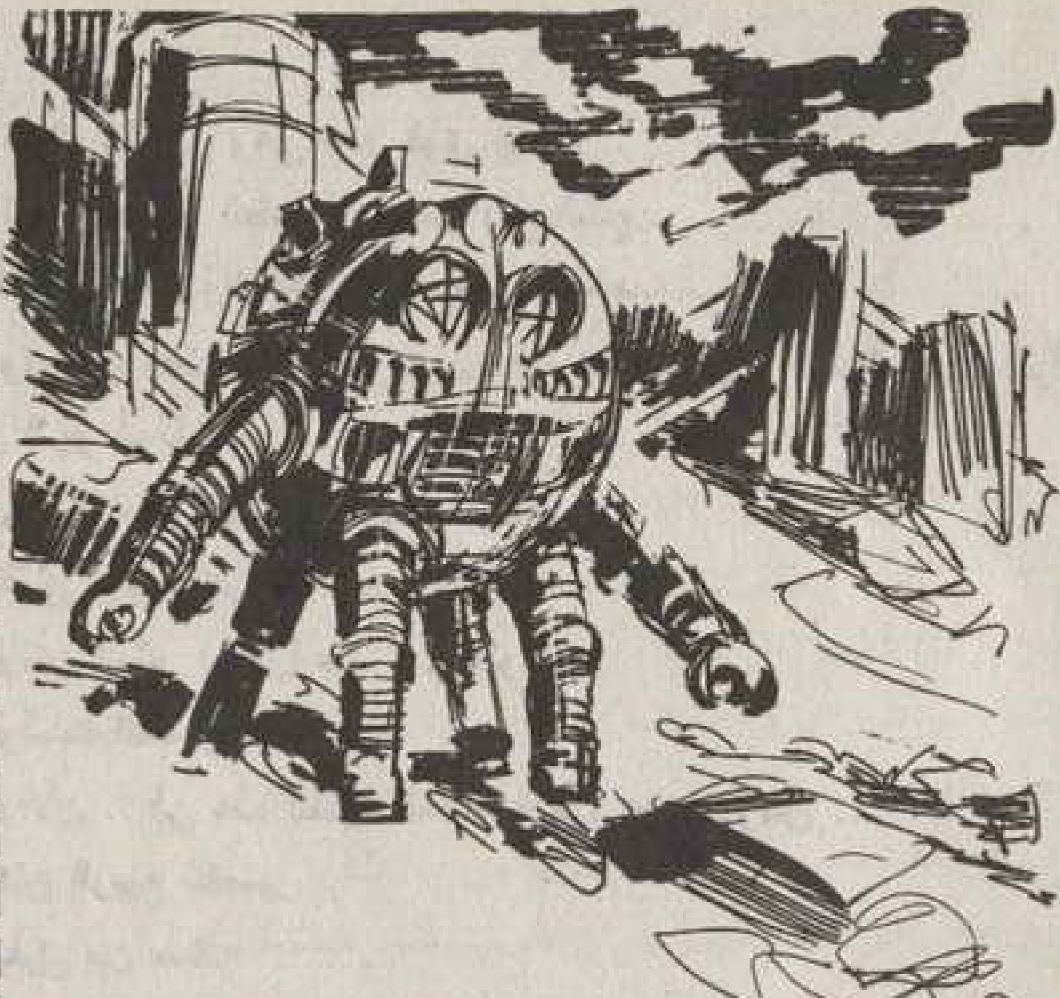

سلسلة نوفا للخيال العلمى

الصدأ .. والموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كانت الشمس وهى تعلو فوق التلال ..
تلقى بظلالها الطويلة .. عبر بقع الثلج ..
وتغسل الحطام والأطلال فى ضوئها الشاحب..
ولو كان بعض البشر موجودين فى هذا المكان .. لاعتقدوا أن الوقت كان شهر أبريل ..
بعد أن ساد العصر الجليدى .. الثانى ..
فوق كوكب الأرض ..
ولكن البشر اختفوا منذ زمن طويل ..
وذبلت الشمس ..
والآن .. فى هذه الفترة المتأخرة من عمر الأرض ..
كان الربيع القصير ..
يفيق من سباته ..
وداخل المدينة المحطمة .. وفى إحدى القاعات الفسيحة .. ذات الأعمدة الضخمة .. التى كانت ما تزال تسند جزءًا من السطح ..
كان هناك أثر لنوع ما من الحياة .. الآلية ..
ثلاثة روبوتات .. مخلوقات بشعة المنظر ..
تتحرك .. وأعضاؤها تصدر صريرًا كئيبا .. فى هذا السكون المطبق ..
استقبل الروبوت (مارد) الربيع الجديد بشعور من الابتهاج .. الذى طرد تقريبًا العزلة والخواء العتيقين.. من المعدن الصدى..

لما يمكن أن يطلق عليه .. عقله الصناعى ..
كانت الشمس مصدر طاقته .. عندما تسقط أشعتها على الخلايا الكهروضونية التى تغطى جسمه المعدنى .. فتتحول إلى طاقة ..
وبعد ظهور الشمس مرة أخرى ..
شعر بقوة جديدة .. تدب فى أوصال جسده المعقد .. المكون من الأسلاك والملفات والتروس .. والطاقة النووية .. وأشعة الليز ..
كان هو ورفاقه .. مجموعة متطورة من الروبوتات ..
لعلها آخر ما صنعه البشر على كوكب الأرض ..
وكان (مارد) يتكون من كرة معدنية قطرها ثلاثة أمتار .. مركبة على أربع أرجل قصيرة .. ذات مفصلات كثيرة ..
وأعلى هذه الكرة المعدنية .. مجموعة من المجسات .. للتحسس عن بعد .. وبرز من بينها عينان شبحيتان من الكوارتز ..
وهى مقسمة بحزام ثقيل معدنى من منتصفها ..
ويمتد على كلا جانبيها ذراع طويل ينتهى بمخلب قوى ..
يشبه كلابة السرطان البحرى ..
يمكنه أن يقطع أى معدن مهما كان صلبا ..
كما كانت هناك أربع كلابات تعمل كأذرع إضافية ..
أثناء القتال ..

★ ★ ★

خرج (مارد) من ظلال القاعة المحطمة .. إلى الطريق المدمر ..
وأحدثت أشعة الشمس التى اصطدمت بجوانب جسده المعدنى الباهت .. دبيبًا من القوة الجديدة .. فى داخله ..

لم يعد يتذكر عدد الروبوتات التى رآها من قبل ..
كما اختفت أجيال كثيرة من أشجار البلوط المنثنية بين الخرائب .. والأنقاض .. منذ أن تم صنع (مارد) ورفاقه ..
لقد تحركت مئات من الروبوتات بمختلف الأشكال والأحجام .. عبر الأرض المحتضرة ..
منذ أن توقفت ضحكات .. وأحلام .. وحماقات البشر ..
بين هذه الجدران المنهارة ..
وأطلال القاعات ..
نادى (مارد) قائلًا :
ـ ضوء الشمس دافئ .. هيا اخرجا (يا صقر) و (فهد) .. إننى أشعر بحيوية غريبة هذا الصباح ..
تحرك رفيقاه بتثاقل تاحية أشعة الشمس ..
كان (صقر) قد فقد ساقا واحدة .. ولذلك فهو يتحرك ببطء وصعوبة ..
وأصبح الصلب فى جسده مغطى تقريبًا ..
بصدأ أحمر ..
كما أصبحت سبائك النحاس والألومنيوم.. التى أكملت بنيانه الجسدى .. ملطخة ببقع عميقة .. ذات لون أسود ..
ولم يكن (فهد) مصابًا بهذه الدرجة من السوء ..
ولكنه فقد ذراعا واحدة ..
وكانت كلابته الاضافية الأربع مقطوعة .. ومتدلية .. من جوانبه مثل أسلاك زاحفة ..

وبدا واضحًا أن حالة (مارد) أفضل من زميليه ..
إذ كان بوسعه استخدام جميع أطرافه .. وما زالت بعض أجزاء جسده متوهجة بلمعان معدنها .. دون صدأ ..
لقد صنعه السادة الآدميون بطريقة بارعة حقًا ..
منذ زمن طويل ..
نظر (صقر) الأعرج حوله .. وأنّ كرجل عجوز طاعن فى السن ..
ارتجف قائلًا بصوت ضعيف :
ـ سوف تمطر بالتأكيد .. لن أتحمل المزيد من الصدأ .
قال (فهد) وأذرعه المحطمة تنساب على الأرض كلما تحرك :
ـ هراء ! لا توجد أى سحابة فى السماء ..
تريث للحظات ثم أردف :
ـ ... أشعر أننى فى حالة طيبة ..
التفت (صقر) حوله وتساءل فى فزع قائلًا :
ـ هل كلنا هنا ؟ لقد كنا اثنى عشر فى الشتاء الماضى ..!
كان (مارد) يفكر فى مصير التسعة الآخرين ..
وهم كل ما تبقى من المجموعة الهائلة التى صنعها البشر ..
شرح الموقف قائلًا :
ـ إن الزملاء التسعة .. كانوا سيقضون فترة الشتاء فى قاعة الصيانة ..
سوف نذهب إلى هناك .. ربما لا يعتقدون أنه قد حان الوقت .. لكى يغامروا بالخروج ..
قال (صقر) فى إصرار :

ـ لا يمكننى ترك عملى .. لم يتبق سوى وقت قليل .. كدت أصل إلى هدفى .. ثم شاب صوته الطنان نبرة النصر .. وهو يستطرد قائلا :

ـ .. سوف أتمكن قريبا من صنع روبوتات .. تماما كما صنعنا نحن البشر ..

تنهد (فهد) قائلا :

ـ نفس القصة القديمة ! كم من الوقت ظللت منهمكا فى العمل .. لصنع هذه الكائنات الآلية التى ستحل محلنا ؟ وماذا صنعنا نحن ؟ إننا لم نفعل شيئا سوى صنع بعض أجزاء لا حياة فيها من الصلب .. وأحيانا تمكنا من صنع بعض القطع غير الصالحة والتى كان لابد من تحطيمها ..

صمت للحظات وهو يومئ بأصابع مرتجفة :

ـ .. ولكننا لم نصنع مطلقا طوال هذه السنوات روبوتا واحدا .. يشبهنا ..

وقف (مارد) وسط الأطلال ..

وأشعة الشمس تومض على جوانب جسده ..

نظر إلى أذرعه الحادة ..

ثم قال وهو مستغرق فى التفكير .. وومضات من أشعة الليزر .. تبرق داخل عقله الصناعى :

ـ هذا هو ما أخفقنا فيه ! إننا حاولنا صنع كائنات آلية تشبهنا تماما .. لكن الإنسان لم يصنعنا للحياة .. وإنما أبدعنا لما بعد .. موته ..

لوح بمخاليه الضخمة .. واستطرد قائلا :

ـ ... لماذا صنعت هذه ؟ هل من أجل تعديل شكل الروبوتات الأخرى .. واستحداث أنواع جديدة؟.. إن هذه الشفرات الحادة.. صنعت للقتل.. وليس لأى غرض آخر !

صرخ الروبوت (صقر) الأعرج قائلا :

ـ حتى لو كان هذا صحيحا .. فإننى أوشكت على النجاح .. وصنع روبوتات جديدة .. وببعض المساعدة سوف أنتصر !

تدخل (فهد) فى المناقشة .. وقال بحدة :

ـ وهل رفضنا فى أى وقت تقديم المساعدة ؟.. ما الذى حدث لذاكرتك الإلكترونية وعقلك الصناعى ؟ لقد عملت فى تلك الغرفة المظلمة بمركز الأبحاث القديم .. طوال الشتاء .. ولم تسمح لنا مطلقا بالدخول لمعاونتك !

بدا صرير معدنى واضح .. فى صوت (صقر) وهو يرد قائلا :

ـ لقد قالوا بأننى سأفشل .. ولكننى أوشكت على النجاح .. أحتاج فقط لشىء من المساعدة .. عملية واحدة أخرى .. لو تحققت .. فإن الروبوتات سوف يمكنها إعادة بناء هذا العالم .. من جديد .

تابع (مارد) بتأفف (صقر) و(فهد) .. وهما يعودان إلى داخل الأنقاض الظليلة ..

كان الجو مظلما هناك ..

ولكن العيون الدائرية للروبوتات .. المصنوعة من الكوارتز ..

كانت تعمل بالأشعة تحت الحمراء .. ومن ثم كان بمقدورها الرؤية فى الظلام ..

صرخ (صقر) مشيرا إلى هيكل معدنى ملقى على الأرضية :

ـ انظرا .. لقد كدت أن أصنع روبوتا من الأجزاء المعدنية التى اخترتها من أكوام الخردة .. وهو كامل تقريبا .. ما عدا عقله

الصناعى !.. ومع ذلك فإننى أعتقد أن هذا الكائن الآلى سوف ينجح .. ويتفوق ..

ثم تحرك بصعوبة نحو شىء لامع .. موضوع على منضدة صغيرة قريبة ..

كان عبارة عن كرة نحاسية قطرها نحو عشرة سنتيمترات .. عليها مربعان أسودان .. من مادة تشبه القطران .. وفى الناحية المقابلة يوجد نتوء مغطى بالرقاقات الإلكترونية ..

قال (صقر) وهو مستغرق فى التفكير :

ـ هذا هو العقل الصناعى الكامل الوحيد .. الذى استطعت العثور عليه .. وكما تشاهدان .. فأنا لا أحاول صناعة شىء ما .. وإنما أعيد بناءه من جديد .. تمامًا كما كانت تتم عملية زراعة الأعضاء البشرية للسادة الآدميين .

ثم أومأ برأسه الضخم إلى المربعين الأسودين قائلًا :

ـ هذان هما عضوا الإحساس .. والرؤية الصادرة من العينين تومض على هذين المربعين .. كما لو كانتا شاشتين دقيقتين .. ووراءهما توجد الاستجابة المكونة من ملايين الخلايا الكهروضونية .. لقد صنعه الإنسان لكى يستجيب آليًا لبعض الأفكار والتصورات .. أما الكرة النحاسية فتوجه وتتابع الحركة .. وتجنب الروبوت التعثر فى الأشياء ..

وأشار إلى البروز الموجود فى جانب العقل الصناعى وقال :

ـ ... خلف هذا توجد وحدة المنطق .. وهى التى تجعلنا متميزين عن بقية الروبوتات الأخرى ..

قال (مارد) ساخرًا :

ـ إن العقل الصناعى .. صغير جدًا ..

رد عليه (صقر) مؤكدًا :

ـ إنه حقًا صغير الحجم .. ولكنه ذو كفاءة عالية .. ويجب أن يركب جيدًا فى رأس الروبوت .. هكذا .. بحيث يظل المربعان الأسودان فى تجويف خلف العينين .. وهذا السلك يوصل الطاقة إلى العقل الصناعى .. أما هذه الملفات فتتصل بوحدة القدرة الآلية التى تحرك الأذرع والقدمين ..

وكذلك بجهاز التوازن ..

واستمر يتحدث بنبرة رتيبة .. ويشرح كل جزء فى العقل الصناعى بدقة ووضوح .. وفى النهاية قال :

ـ ... والآن .. يجب أن يقوم أحدنا بتوصيل العقل الصناعى برأس الروبوت .. وأنا غير قادر على ذلك !

حملق (فهد) فى مخالبه الصدئة بارتباك ..

ثم نظر هو و(صقر) فى نفس الوقت إلى (مارد) ..

تقدم (مارد) فى تردد نحو العقل الصناعى ..

قال وهو يتأمل كلاباته غير الصدئة :

ـ سوف أحاول فقط .. ولكن تذكرا ما قلته لكما .. إننا لم نصنع بحالتنا هذه .. لكى ننجز أى شىء .. وإنما لكى نقتل فقط .

رفع بلا مبالاة الكرة النحاسية الصغيرة .. وشبكة أسلاكها الحمراء من على المنضدة ..

وبدأ يعمل ببطء .. ولكن بعناية فائقة ..

استخدم مخالبه الضخمة .. فى ثنى أطراف الأسلاك واحدًا بعد الآخر .. ثم ربطها معًا ..

وكاد أن ينتهى من عمله هذا ..

حلقت الكلابتان الضخمتان بحذر فوق السلك الأخير ..

ثم تلامستا ..

انطلق ضوء غامر إثر حدوث قصر فى دائرة القدرة الكهربائية ..

ترنح (مارد) إلى الخلف ..

ولم تلبث الكرة النحاسية أن انصهرت .. وتحركت أمام أعينهم ..

هرع (مارد) مذعورًا إلى الجدار البعيد .. ثم صرخ قائلًا :

ـ ألم أقل لكما ! لقد صنعنا لغرض واحد .. هو القتل !

ثم نظر إلى مخلبيه الهائلين .. وهزهما ..

كما لو كان سيلقى بهما بعيدًا عنه ..

قال (صقر) مهدئًا الموقف المتوتر :

ـ لا تنظر إلى الأمر بهذا الشكل .. لعله ليس سيئًا كما تتصور .. إننا كائنات مصنوعة من الصلب .. ويبدو أن هذا العالم خلق لتعيش فيه مخلوقات من لحم ودم .. أعنى البشر ..

صمت للحظات ثم أشار إلى الهيكل المعدنى الذى يحمل فى قمته كرة النحاس المصهورة ..

وأردف بصوت مفعم بالحزن :

ـ ... كان هذا العقل الصناعى .. آخر أمل لى ..

وافقه (فهد) قائلًا :

ـ لقد حاولتما .. ولا يستطيع أحد أن يلوم أيًا منكما .. إننى أحيانًا

عندما أنظر إلى النجوم فى الليل .. أشعر أننا لا ننتمى إلى هذا الكون .. حقًا .. أصبح كوكب الأرض ملكًا لنا .. فماذا فعلنا به ؟ لا شىء ..

تريث لبرهة ثم استطرد :

ـ ... يبدو أن مصيرنا سيكون مثل السادة الآدميين !

هز (مارد) رأسه وقال :

ـ لعل ذلك أفضل .. أعتقد أن ذلك خطأ عقولنا الصناعية .. إنها لاتتحكم فى ردود أفعالنا واستجاباتنا .. إننى لم أرغب مطلقًا فى القتل .. ومع ذلك فقد قتلت كثيرًا من البشر .. وأحيانًا .. برغم أدائى وظيفة القتل فى أثناء الحرب .. كنت أفكر فى أشياء أخرى .. ولم أعرف حقيقة ما حدث إلا بعد أن تم أداء المهمة ..

لم يكن (صقر) منصتًا لما يقال ...

بل كان ينظر بحزن إلى الحطام المعدنى الملقى على الأرض ..

ثم قال فجأة :

ـ كان هناك روبوت من طراز (برق) فى قاعة الصيانة .. يعتقد أنه عرف تقريبًا .. كيف يصنع عقلًا صناعيًا جديدًا ..

قال (مارد) فى اقتضاب :

ـ هيا بنا نذهب إلى قاعة الصيانة ..

وبينما كانوا يغادرون مكانهم .. نظر (صقر) وراءه بحزن إلى حطام الهيكل المعدنى .. الملقى على الأرض .. مثل جثة هامدة ..

يتصاعد منها الدخان الأسود ..

أبطأ (مارد) من خطواته لتوافق المشية الضعيفة لـ(صقر) ..

وعندما أصبحوا على مرمى البصر من قاعة الصيانة وبرجها العالى المميز ..

وجدوا أنه لا داعى لتقدمهم أكثر من ذلك ..

ففى وقت ما .. خلال فصل الشتاء .. انهارت الجدران الهائلة للمبنى .. ودفن الروبوتات التسعة ..

تحت أطنان من قطع الرخام الأخضر ..

★ ★ ★

قفل الروبوتات الثلاثة راجعين إلى قاعتهم المهدمة التى يتخذونها مأوى ..

زمجر (صقر) قائلًا :

ـ لن أبقى فى الخارج أكثر من ذلك .. إننى أفقد حيويتى ..

زحف راجعًا إلى داخل الظلام ..

ورقد هناك بلا حراك .

وقف (فهد) وهو ينظر إليه .. ثم قال وصوته مفعم بالحزن :

ـ أخشى أن يكون قد اقترب من لحظة الفناء .. لابد أن الصدأ يملؤه من الداخل الآن .. لقد أنقذنى مرة منذ زمن طويل عندما قمنا بتدمير هذه المدينة .. أثناء ثورة الروبوتات ! ولكن ماذا أفعل له ؟

أطرق (مارد) برأسه ثم سأله :

ـ إننى أحيانًا أندم على ما فعلنا .. إن البشر سادتنا !

التفت إليه (فهد) وصاح :

ـ هم الذين صنعونا كما نحن الآن .. ليس لنا شأن فى ذلك .. لقد

تحدثنا فى ذلك من قبل .. كنا مجرد آلات صنعت لتقتل فى أثناء الحروب .. جيش قوى من الروبوتات ..

ردد (مارد) كأنما لنفسه :

ـ صنعونا لنقتل الآدميين الأعداء الذين يرتدون الزى الرسمى الأصفر فقط ..

قال (فهد) مؤكدًا :

ـ نعم.. أعرف ذلك .. أنتجونا وفق قاعدة نفسية محددة .. هى الدافع والاستجابة له .. فكلما رأينا آدميًا يرتدى الزى الأصفر .. قتلناه .. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثالثة .. سيطر الدافع والاستجابة على الروبوتات المحاربة تمامًا.. فأصبحت تقتل الآدميين جميعًا .. بلا تمييز .. أيًا كان الزى الرسمى الذين يرتدونه ..

قال (مارد) بضجر :

ـ أعرف ذلك .. فقط أشعر بالندم ..

رد (فهد) وهو يتنهد :

ـ لقد انتهى الأمر منذ زمن بعيد .. إنك مختلف يا (مارد) .. فأنت واحد من آخر مجموعة صنعت من الروبوتات المتطورة.. ومع ذلك كنت موجودًا هنا .. عندما غزونا هذه المدينة وسيطرنا عليها ..

صمت للحظات ثم أردف :

ـ ... إنك قاتلت جيدًا .. وقتلت الكثيرين من الآدميين !

قال (مارد) بصوت مفعم بالأسى :

ـ هل ما فعلناه كان صوابًا ؟

صاح (فهد) بحقد :

ـ هراء ! لم يكن بوسعنا أن نفعل شيئا .. لقد صنعنا هكذا .. إن الإنسان صنع أشياء لا يستطيع السيطرة عليها .. والآن إذا رأيت آدميًا أمامى .. حتى وأنا كسيح هكذا .. فسوف أقتله بدون تفكير ..

همس (مارد) :

ـ (فهد) .. هل تظن أنه ما يزال فى العالم أى آدمىّ باق من الجنس البشرى ؟

تطلع إليه (فهد) لبرهة ثم قال :

ـ لا أعتقد .. تذكر أن الحرب العالمية الثالثة .. كانت شاملة ولم تكن محلية .. امتدت إلى جميع أجزاء كوكب الأرض .. حتى إلى الجزر الصغيرة .. ومحطات الفضاء .. والأقمار الصناعية .. ومستعمرات الكواكب .. وحدثت ثورة الروبوتات فى نفس الوقت تقريبًا ..

التفت إلى (مارد) ثم أردف قائلا :

ـ ... ولكن لماذا نقلق الآن ؟ إننا فى فصل الربيع .. والإنسان صنعنا لقتل الإنسان !.. هذه كانت جريمتهم !

وافقه (مارد) قائلا :

ـ نعم إننا فى فصل الربيع .. سوف ننسى كل ذلك .. هيا بنا نذهب إلى النهر .. لقد كان دائما آمنا .. وهادئا .. ومناظره جميلة ..

دهش (فهد) وتساءل :

ـ أى هدوء .. أى جمال .. تعنى ؟

ـ إنها مجرد كلمات تعلمناها من الإنسان .. لكننى لم أعرف معناها مطلقًا .. ولكن عندما أفكر فى الهدوء والجمال .. أتذكر النهر .. و ...

توقف فجأة عن الكلام .. محاذرًا من أن يذيع سرًا كتمه .. طوال هذه السنوات ..

★ ★ ★

قال (فهد) موافقًا :

ـ سوف نذهب إلى النهر .. أعرف أرضًا خضراء هناك .. حيث تكون الشمس دائمًا دافئة .. وهذا مفيد لشحن خلايانا الكهروضونية ..

تحرك الروبوتان ـ اللذان يبلغ طول كل منهما ثلاثة أمتار ـ بتثاقل فى الطريق الذى كادت تختفى معالمه ..

وبينما هما يشقان طريقهما وسط الحطام .. والنباتات الخضراء التى نمت بينه .. صادفا كثيرًا من الهياكل الصدئة للروبوتات التى كانت مثلهما فى يوم ما .. أكوام هائلة من الخردة تحتوى على الآلاف من الأجساد المعدنية الممزقة ..

قال (فهد) بحزن :

ـ اعتدنا إحضارهم إلى هنا بعد فنائهم .. ولكن فى الفترة الأخيرة أصبحنا نتركهم .. فى المكان الذى يسقطون فيه ..

وكان صوته المعدنى .. الآلى .. الرتيب ..

يعبر عن الأسى ..

وصلا أخيرًا إلى أرض فسيحة ممتدة بين الأشجار ..

سارا مسافة أخرى .. ثم وقفا على حافة جرف عال .. يطل على ممر ضيق .. ونهر ملتف متعرج أسفله ..

وكانت مشيدة هنا فى الماضى البعيد .. بعض الجسور التى لم يبق منها الآن .. غير آثار مطموسة ..

قال (مارد) بإصرار :

ـ أعتقد أننى سوف أهبط إلى حافة النهر ..

عبر (فهد) عن رأيه قائلًا :

ـ اذهب أنت .. أما أنا فسوف أظل هنا .. أتمتع بأشعة الشمس .. فالطريق شديد الانحدار بالنسبة لى .. وكما تعلم فبعض أجزائى محطمة تمامًا ..

هبط (مارد) بصعوبة .. فى طريق وعر ..

وأخيرًا وقف بجوار مياه النهر المندفعة ..

أدرك لأول وهلة .. أن هناك شيئًا ما .. قد تغير ..

ولكنه لم يستطع أن يحدد ما هو ..

وقريبًا جدًا .. سوف يختفى الجليد المنصهر .. وتضعف المياه المتدفقة إلى مجرد قطرات .. تنساب فى بطء .. وسكون ..

دار حول نفسه .. وألقى نظرة على الجزء المنحدر من الممر ..

وفيما عدا مكانًا واحدًا .. زحف عليه الطريق العام القديم ..

كان جانبيه .. عمودان .. تشكل قمتهما إطارًا ..

يمكن رؤية السماء الزرقاء الصافية من خلاله ..

وتتناثر من حوله .. الصخور النارية التى يبلغ عمرها .. ملايين السنين .. وحتى فى هذا الربيع ..

كانت الصخور .. والنهر .. والممر .. والعمودان ..

وحيدة .. منعزلة .. مقفرة ..

لم يهتم الجنس البشرى كثيرًا .. بتضمين الذاكرة الإلكترونية للروبوتات أى أفكار دينية .. أو فلسفية ..

ولكن فى مكان ما داخل الخلايا الإلكترونية للعقل الصناعى للروبوت (مارد) .. فكرة تلح عليه ..

بأنه هو وبنو جنسه .. يعانون .. ويتحملون مسئولية خطاياهم .. وخطايا البشر من قبلهم ..

ربما كانت هذه الفكرة صحيحة !

وبالطبع لم ينتصر البشر مطلقًا .. على سذاجتهم العتيقة ..

برغم أن العلم كان مسخرًا لهم ..

فقد سلبت الحروب العديدة من الإنسان ..

أكثر مما أعطاه العلم !

وأصبح (مارد) والروبوتات المتطورة الأخرى ..

تتويجًا لفطرة الإنسان الغريزية .. للقتل .. والتدمير ..

وفى دوامة الطوارئ التى أملتها ظروف الحرب العالمية الثالثة ..

لم يتح للإنسان الوقت الكافى .. لتحسين وتطوير إبداعه الأخير .. أو حساب النتائج المتوقعة ..

وتغيرت الرغبة الدفينة لقتل الأعداء .. ذوى الزى الرسمى الأصفر الموحد .. إلى التوق لقتل الإنسان .. أيًا كان ..

والآن .. لم يبق إلا (مارد) .. ورفيقه المحطم .. وأكوام الصلب الصدئ .. والأبراج المائلة المنهارة .. وأطلال القاعات .. والطرق المدمرة ..

★ ★ ★

اقتفى (مارد) شاطئ النهر لمسافة عدة كيلومترات .. حتى قلت وعورة الجانبين ..

ثم تسلق الصخور بصعوبة ..
ومر من خلال ممرات بين الأشجار العملاقة المتشابكة ..
لم يكن يرغب فى العودة إلى الروبوت (فهد) ..
فقد كان هذا الكائن الآلى .. المشوّه .. حزينًا دائمًا .
وبدا أن الصدأ يأكل فى جسده المعدنى ..
لينفذ إلى أعماقه ..
وقريبًا جدًا .. سوف يفنى مثل (صقر) ..
وعندئذ لن يبقى سواه ..
إجتاحته .. رجفة باردة .. من الخوف ..
فلم يكن يرغب فى أن يوجد .. بمفرده ..

فى هذا العالم الساكن .. الموحش ..
تحرك (مارد) متثاقلًا إلى الداخل ..
وكانت عدة طيور سوداء تحلق فى اضطراب ..
وفجأة .. اندفع إلى قدميه أرنب برى ضخم رمادى اللون .. قادم من بين الشجيرات ..
تأرجحت أذرع (مارد) ذات المفصلات .. بسرعة هائلة ..
وفى ثوان .. وقع الحيوان الصغير .. قتيلا على الأرض ..
وبغريزته .. داس عليه بقوة بقدمه اليمنى المعدنية .. فسحقه .. بحيث لم يبق منه على العشب الجديد .. إلا آثار دموية باهتة ..
شعر (مارد) بالندم .. والخجل ..

واستمر فى سيره صامتًا .. وخبا أمام عينيه لحد ما بريق النهار .. وزهوته ..
لم يكن يحب أن يقتل !
كان دائمًا يشعر بالندم والخجل .. بعد كل جريمة قتل ..!
ثم تراءى السؤال القديم المعهود .. فى ذاكرته الإلكترونية .. داخل عقله الصناعى ..
لماذا صنعه البشر هكذا .. بحيث يقتل دائمًا ؟
استمر فى سيره ببطء ..
وسرعان ما وصل إلى هدفه ..
قاعة مغطاة بالجليد .. ووراءها أنقاض منزل حجرى ضخم ..
توقف (مارد) عندما كان يسمى ذات يوم .. حديقة .. وبجوار نافورة مهدمة ..
وجد ما يبحث عنه ..
تمثال رخامى صغير .. لطفل ..
ولكنه تحلل وتغير لونه ..
كان يحضر إلى هذا المكان .. دون أن يعرف رفاقه الروبوتات .. طوال سنوات كثيرة .. لا يمكن حصرها ..
ثمة شىء غامض فى هذا التمثال الصغير .. يخلب لبه .. ويثير إعجابه الشديد ..
لم يتمكن عقله الصناعى من تفسير شعوره الغريب هذا ..
لقد كان هناك شىء يتعلق بهذا التمثال .. جعله يفكر فى جميع القدرات والصفات التى امتلكها الإنسان ..

ولكنها ليست فى متناول بنى جنسه .. الروبوتات ..

وقف ينظر إلى التمثال الضارب لونه إلى الاخضرار .. وأخذ يتأمله طويلًا ..

كان التمثال يتميز بصفة رقيقة .. ما زالت تتحدى (مارد) حتى الآن .. وجعلته يستعيد فى ذاكرته الإلكترونية .. كل ما شاهده ..

النهر .. والصخور الوعرة التى تطل عليه من ارتفاع شاهق .. السماء الزرقاء .. الطيور .. والحشائش الخضراء ..

لقد كاد فنان آدمى منذ زمن طويل ..

أن يجسد الحياة وروعتها .. فى هذا التمثال الصغير ..

أمام عينى الروبوت المصنوعة من الكوارتز .. والتى ترى بوساطة الأشعة تحت الحمراء !

تراجع (مارد) فى خطوات متثاقلة .. إلى جدول ماء قريب ..

وبالرغم من النصائح القديمة .. منذ عدة قرون .. لجميع الكائنات الآلية .. بتجنب الأمطار .. والمياه بصفة عامة .. والرطوبة ..

عاد (مارد) إلى مكان التمثال الصغير ..

وأخذ يتذكر ..

لقد ظل لسنوات طويلة يحاول عمل نسخة من التمثال الصغير للطفل .. مهمة محددة يسعى جادًا لتنفيذها ..

حتى يثبت ـ لنفسه على الأقل! ـ أن الروبوت يمكنه أن يفعل ما يفعله الإنسان البشرى .. فى مجال الفن .. والإبداع ..

لكن يبدو أن مخاليه الحادة. كانت قد صنعت لغرض واحد فقط.. القتل!

استمر فى العمل بدون إتقان .. وقبيل غروب الشمس .. تخلى عن كتلة المرمر .. عديمة الشكل التى صنعها .. وعاد إلى الخرائب ..

وبالقرب من القاعة المتصدعة قابل (فهد) أثناء عودته ..

وعند المدخل ناديا على (صقر) ..

لكنهما لم يسمعا أى رد ..

دلفا معًا إلى الداخل ..

وهناك وجدا (صقر) ممددًا على الأرض ..

إن الصدأ .. قد انتصر فى النهاية ..

★ ★ ★

تحول الربيع المعتدل .. إلى صيف حار ..

كان الروبوتان فى طريقهما إلى قاعدتهما ذات يوم شديد الحرارة ..

الآن .. أصبح (فهد) يتحرك ببطء أكثر ..

وانسابت وراءه أسلاكه المقطوعة ..

وهى تصدر حفيفًا فى أثناء اختراقها للأوراق الجافة .. الساقطة ..

اشتبك سلكان منهما فى شىء ما .. ربما بأفرع شجرة محطمة ..

وفجأة .. دار (فهد) حول نفسه ..

ثم هبط بعنف على ركبتيه ..

أبعد (مارد) الأسلاك عن الأفرع .. ولكن (فهد) لم يقف على قدميه ..

وبدلًا من ذلك .. قال بضعف :

ـ أحضر مفتاحًا للربط .. لقد حدث لى خلل ما ..

تصاعد من جانبه الأيسر عمود من الدخان الأسود ..

ثم تغضن جسده .. وتدهورت حالة دوائره الإلكترونية .. وصدرت من داخله صيحة طنانة .. انتهت بصوت حاد ..

أعقبها اندلاع ألسنة اللهب فى أجزاء متفرقة من جسده المعدنى ..

وأخيرًا .. سقط إلى الأمام .. دون حراك ..

وقف (مارد) بجواره يتوسل إليه بصوت مفعم بالحزن :

ـ أرجوك يا صديقى القديم .. لا تتركنى الآن .. إننى أكره الوحدة ..

كانت هذه هى المرة الأولى منذ قرون مضت .. تشاهد فيها الجبال المطلة ..

نوعًا من .. العاطفة ..

امتلأ الجو بالغبار والرمال .. وبدت السماء رمادية .. وممتلئة بالسحب المنخفضة ..

وكان عدد من الغربان عائدة إلى أعشاشها .. وصيحاتها الأجشة .. تكدر صفو عالم .. شبه ميت ..

تحرك (مارد) ببطء .. وشعر طول اليوم بالغربة .. ووجد نفسه يهيم على وجهه .. دون هدف محدد ..

لم يمكنه أن يسير إلا فى سلسلة من الأقواس ..

هناك شىء ما مختل فى داخله ..

دوائره الإلكترونية لا تعمل بكفاءتها المعتادة ..

أدرك أن عليه الرجوع إلى القاعة .. وألا يخرج فى هذه الرطوبة الخطرة .. لقد تجول طوال اليوم .. وتعرض لعواصف من الغبار والرمال ..

وصل أخيرًا إلى جدار منهار .. مغطى بطبقة رقيقة من المرمر ..

تخطاه .. حتى دخل إلى حديقة ذابلة ..

توقف لفترة عند تافورة محطمة ..

أمام تمثال قديم لطفل ..

تأمله لمدة طويلة ..

ثم فجأة .. تأرجح ذراعه المعدنى فى الهواء ..

وتحطم التمثال إلى مئات القطع المتناثرة ..

لف (مارد) حول نفسه ببطء .. واقتفى أثر خطواته ..

وكانت الشمس الغاربة .. تهبط فى الأفق البعيد ..

تاركة لطخة أرجوانية .. شاحبة فى الغرب ..

تذكر .. أنه يجب عليه العودة إلى القاعة ..

وألا يظل فى الخارج .. بأى حال من الأحوال ..

ولكنه وجد نفسه يهيم بعيدًا عن الطريق ..

ويتعثر متحركًا فى دوائر مغلقة ..

شحب ضوء الشمس الغاربة ..

برغم أن عينيه الكوارتزية .. اعتادتا على الإبصار بالأشعة تحت الحمراء .. فى الليل والنهار على السواء ..

تساءل : أين يقف الآن ؟

أدرك .. أنه يرقد على الأرض ..

ولكن كان عليه أن يرجع إلى القاعة ..

تحامل على نفسه بكل قوته .. ولكنه لم يتحرك ..

ولم يلبث الضوء أن خبا .. وانطفأت جذوته ..

وارتسم فى أعماق ذاكرته الإلكترونية ..

صورة تمثال لطفل صغير .. يكاد ينبض بالحياة ..
أخذت تتلاشى رويدًا ..
ثم تراكم الغبار والرمال ببطء وفى صمت ..
فوق جسده المعدنى ..
ولم يكشف عن مكان الروبوت (مارد) ..
سوى أنين واهن ..
صدر منه فى لحظاته الأخيرة ..
ولكن الشىء العجيب ..
أنه لم يقض عليه .. الصدأ ..
بل .. الموت ..

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا للخيال العلمى .

المرض.. الكونى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سقف الحجة - القاهرة - ت ٥٨٥٥٠٩

كان الصوت .. مفاجئا .. حادًا .. ومزعجًا ..
يشبه تمزيق آلاف الأوراق ..
سرعان ما ارتفع بسرعة البرق الخاطف .. ليصبح صيحة .. مدوية ..
وقفت على أثرها (ميرفت شهدى) على قدميها .. بقفزة واحدة ..
ركضت إلى باب منزلها ..
وبمجرد أن فتحته ..
رأت فى ظلمة شهر نوفمبر .. سيفًا ناريًا .. أبيض اللون ..
يشق الظلام رأسيًا ..
ثم سمعت صوت ارتطام مروّع .. صادرًا من أعماق الليل ..
وسرعان ما عاد ظلام الليل .. وهدوءه مرة أخرى ..
ولكنها شاهدت بوضوح .. سحبًا من الدخان الأبيض تتصاعد ببطء .. من نقطة محددة بشاطئ البحر القريب .. المضاء قليلًا بضوء النجوم ..
عادت إلى داخل منزلها .. وبحثت عن مصباح كهربائى .. حتى وجدته .
توقفت للحظات عند الباب .. ثم سارت فى طريق متعرج .. وعر .. بين الأشجار المتناثرة علي الشاطئ فى هذا المكان المنعزل من مدينة العريش ..
حدقت فى الظلام من حولها ..
رأت البقعة التى كانت بقايا الدخان .. ما زالت تتصاعد منها ..
ثم سارت بدون تردد فى هذا الاتجاه ..

اندفعت مخترقة الأشجار ..
مزقت الأغصان المتشابكة ملابسها .. وجرحت يدها اليسرى .. كما لطمتها الأفرع .. ووخزتها فى وجهها .. وتعلقت بشعرها الناعم المتطاير ..
سقط منها المصباح الكهربائى .. وتعبت كثيرًا حتى وجدته ..
وقبل أن يمضى وقت طويل .. سمعت أصوات ألسنة اللهب الصغيرة .. وشمت الرائحة الغريبة للدخان ..
وسارت لبضع دقائق بعد ذلك فى دائرة قطرها ثلاثون مترًا ..
سويت تمامًا بالأرض ..
بتأثير النيزك الذى هبط من الفضاء ..
وكانت الأعشاب والشجيرات التى اشتعلت فيها النيران .. بتأثير الاصطدام .. تحترق بضعف فى أماكن مختلفة .. حول حافة هذه الدائرة ..
دخل الدخان فى عينى (ميرفت) .. فوقفت تطرف بعينيها ..
وعندئذ رأت النيزك ..
لم يكن نيزكًا عاديًا بالمرة ..
فقد كانت (ميرفت) تعرف أن النيازك .. هى شهب لم تحترق تمامًا .. فتصل أجزاؤها إلى الأرض .. وترتطم بها .. محدثة فجوات ..
والنيازك ثلاثة أنواع بحسب المواد المكونة لها ..
فقد تكون حجرية أو معدنية أو خليطًا منهما ..
وبسبب اصطدامها بالغلاف الجوى .. يتحول سطحها إلى مادة سائلة ..
ولكن سرعان ما تتجمد فى طبقة ملساء ..

كلا .. هذا ليس نيزكًا على الإطلاق ..

أدركت ميرفت لأول وهلة .. أنه جسم مدفون لنصفه فى الرمال البيضاء الناعمة للشاطئ ..

كان جسمًا لامعًا متعدد الأسطح .. يبلغ قطره نحو ثلاثة أمتار ..

ويتميز كل سطح بعدد كبير من البروزات الصغيرة .. ذات شكل هندسى غريب ..

وتأكدت أنه جسم صناعى متعدد الأسطح ..

سقط من الفضاء الخارجى ..

ولابد أن من صنعه .. كائنات ذكية تعيش فى كوكب آخر ..

حدقت (ميرفت) أمامها ..

وتحولت الأفكار والموضوعات التى فى ذهنها ..

إلى عناوين صحفية سوداء .. وحمراء بارزة ..

ومقالات فى كل الجرائد اليومية ..

بتوقيع الصحفية (ميرفت شهدى) ..

★ ★ ★

تساءلت والشكوك مازالت تراودها :

- يا ترى ما الذى يوجد داخل هذا الجسم الغريب ؟

تقدمت خطوة تجاهه فى حذر ..

خوفًا من الحرارة الشديدة التى كان الوهج الأبيض يوحى بها ..

ولدهشتها .. وجدت أن الجسم متعدد الأسطح .. لم يكن ساخنا بالمرة ..

حقًا .. كانت الأرض تحت قدميها مرتفعة الحرارة من أثر الاصطدام ..

.. ولكن الجسم الغريب ذا البروزات الصغيرة .. كانت حرارته محتملة ..

أما الوهج الصادر عنه - أيًا كانت طبيعته - فلم يكن بسبب الحرارة ..

وكانت هذه ظاهرة عجيبة .. ومحيرة ..

ركزت (ميرفت) نظرها .. وحاجباها الأسودان مقطبان ..

بينما عقلها يعمل بنشاط شديد ..

أدركت أن هذا الجسم ربما لا يكون بداخله .. كائنات حية ..

إذ لابد أنها هلكت إثر سقوط الجسم فوق كوكب الأرض .. وتعرضه لدرجات حرارة مروعة ..

فى أثناء نفاذه من الغلاف الجوى للأرض ..

ولكن ربما توجد آلات ومعدات ورسائل فى الداخل ..

وصلت (ميرفت) إلى قرار مفاجئ ..

لقد كانت هذه القصة أكبر من أن تتحملها .. وتتعامل معها بمفردها ..

وعرفت فى لحظات من هو الشخص .. الذى تحتاج إليه فى الوقت الحاضر ..

إنه ابن عمتها وخطيبها الدكتور (رأفت حمدى) .. عالم الفلك .. بمرصد العريش .

- ١ -

برغم هدوء الدكتور (رأفت)..

إلا أن (ميرفت) لمحت بريقا فى عينيه ..

بينما كانا يفرغان الأجهزة والأدوات الثقيلة من السيارة .. التى أحضرت الدكتور (رأفت) .. إلى مكان سقوط الجسم المجهول ..

أخذا يحفران فى الرمال حول الجسم الفضائى ..

وبعد ساعتين .. تمكنا من إنجاز المهمة ..

وظهر الجسم متعدد الأسطح واضحًا أمامهما ..

وهو ما يزال يومض وميضًا أبيض .. فى ضوء شمس الصباح ..

قام الدكتور (رأفت) بإجراء فحص دقيق .. لمادة هذا الجسم المتألق ..

ثم هز رأسه قائلًا :

ـ من المؤكد أنه ليس نيزكًا !

قالت (ميرفت) فى حيرة :

ـ إذن ماذا يكون؟ رسالة من عالم آخر!

رد عليها الدكتور (رأفت) .. فى نبرة من الاهتمام ..

ـ سوف نعرف عندما نرى ما فى داخله ..

تريث لبرهة ثم استرسل قائلًا :

ـ ... إن مادته غريبة .. ليس لها مثيل فوق الأرض .. هل ترين أية فتحة للجسم .. أو حتى علامة ؟

حدقت (ميرفت) فى الجسم الفضائى .. ثم أشارت إلى جزء منه .. وقالت بنبرات ترتجف :

ـ هناك شىء ما .. فوق أحد أسطحه .. يبدو كرسم تخطيطى ..

هرع الدكتور (رأفت) مسرعًا إلى ذلك الجانب ..

وأشارت (ميرفت) إلى ما اكتشفته ..

كان عبارة عن علامة غريبة .. معقدة ..

محفورة بعمق .. على أحد البروزات السطحية ..

فى منتصف ارتفاع جانب الجسم الفضائى ..

كانت العلامة الغريبة تمثل حشدًا صغيرًا .. حلزونى الشكل من النقاط المتجمعة .. بكثافة كبيرة ..

وبالقرب من هذا الحشد المركزى .. كان هناك حشود أخرى صغيرة من النقاط المحفورة .. معظمها حلزونى الشكل أيضًا ..

وفوق هذا الشكل الغريب ..

صف من الرموز الزخرفية .. المتداخلة ..

صاحت (ميرفت) وقد اعترتها الدهشة البالغة :

ـ هذه كتابة من نوع ما .. كلام منقوش .. كنت أتمنى أن يكون معى كاميرا للتصوير ..

تألقت عينا الدكتور (رأفت) وقال بصوت حاول ألا يبدو قلقًا :

ـ لا نستطيع أن نفسر هذه الرموز فى الوقت الحاضر .. ولا شك أنها تحاول أن تخبرنا بمحتويات هذا الجسم الفضائى .. أما الرسم التخطيطى ..

قاطعته (ميرفت) بحماسها الصحفى :

ـ ماذا يعنى هذا الرسم التخطيطى فى رأيك ؟

قال الدكتور (رأفت) ببطء :

ـ هذه الحشود من النقاط .. تمثل المجرات .. إذ هى تجمعات هائلة من النجوم تبلغ البلايين ...

صمت لبرهة وهو يحدق فى الرسم التخطيطى .. ثم استطرد قائلًا :

ـ ... أما الحشد المركزى .. فهو يرمز لمجرتنا .. الطريق اللبنى .. الذى يضم منظومتنا الشمسية .. وهى ذات شكل حلزونى .. ذات مركز سميك .. وتأخذ فى النحافة بالبعد عن هذا النتوء المركزى .. إلى ناحية الحافتين .. ويبلغ قطر مجرة الطريق اللبنى .. حوالى مائة ألف سنة ضوئية .. أما منظومتنا الشمسية فتقع داخل هذه المجرة .. فى أحد أذرع الحلزون .. على بعد ثلثى الطريق إلى حافة المجرة .. على ذلك الخط الوهمى الذى نتخيله مارًا خلال هذا القرص الكونى الجبار .. تساءلت (ميرفت) فى دهشة .. وعيناها الواسعتان .. الرائعتان .. تتألقان بالفضول :

ـ وباقى الحشود ؟

أجاب الدكتور (رأفت) بسرعة :

ـ تمثل باقى المجرات فى الكون ..

عادت (ميرفت) تتساءل :

ـ ولكن فى الرسم التخطيطى .. تقترب المجرات جدًا .. من مجرتنا .. ماذا يعنى هذا ؟

رد عليها الدكتور (رأفت) .. وقد تبدت فى وجهه دهشة .. أصيلة .. صادقة :

ـ ربما يدل هذا على أن هذا الجسم الفضائى .. قد أرسل إلينا .. عندما كان الكون فى طفولته .. قبل أن يتمدد .. ويتسع .. وتنطلق المجرات بعيدًا عن بعضها البعض ..

ـ ٢ ـ

مرت ثلاث ساعات ..

حاولا فيها فتح الجسم الفضائى .. ولكن دون جدوى ..

جلسا .. وهما يتصببان عرقًا ..

يحدقان بلا تعبير .. كل فى وجه الآخر ..

فلم تتمكن الآلات الحادة .. من إحداث أى خدش .. على الأسطح المتألقة للجسم الغامض ..

حتى جهاز الليزر .. لم تستطع أشعته الحارقة من التأثير فى الجسم الفضائى ..

تنهدت (ميرفت) وقالت بصوت مفعم باليأس :

ـ أستطيع أن أؤكد أن هذه هى أشد المواد صلابة ..

أومأ الدكتور (رأفت) .. وقال ببطء :

ـ هذا .. إذا كانت مادة على الإطلاق !

نظرت إليه بحيرة بالغة :

ـ إذا كانت مادة ! إننا نرى مادة هذا الجسم .. فهى صلبة .. وحقيقية .. مثلنا تمامًا ..

وافقها الدكتور (رأفت) .. ثم تنهد قائلًا :

ـ حقًا هى صلبة وحقيقية .. ولكن هذا لا يثبت أنها مادة !

صمت للحظات ثم أردف قائلًا :

ـ ... أعتقد أنها قوة من نوع ما .. تبلورت فى شكل جسم متعدد الأسطح .. قوة متجمدة !.. ولا أظن أنه يمكننا فتح هذا الجسم بأجهزتنا المعتادة .. التى صممت للتعامل مع المادة المألوفة .. بحالاتها الثلاث .. الصلبة والسائلة والغازية ..

قالت (ميرفت) فى ذهول :

ـ قوة متجمدة ! ماذا نفعل إذن ؟

هز الدكتور (رأفت) رأسه فى حيرة ثم قال :

ـ هذا الأمر عجيب حقًا .. ولا أتصور أن هناك طريقة يمكن التفكير فيها .. لفتح الجسم الفضائى ..

توقف فجأة .. وبدا وكأنه ينصت لصوت ما .. داخله ..

ثم ظهرت على وجهه المرهق .. علامات الدهشة ..

وكأن جزءًا من عقله قد أصابته الدهشة ..

مما أخبره به جزء آخر ..

قال الدكتور (رأفت) .. وعيناه جاحظتان :

ـ ما الذى حدث لى ؟ بالطبع يمكن أن نفتح هذا الجسم .. إنه مصنوع من قوة متبلورة .. إذن فعلينا أن نصهر . ونذيب هذه القوة .. باستخدام قوة أخرى !

وقفت (ميرفت) مترددة لبرهة .. ثم رطبت لسانها بشفتيها .. على غير وعى منها .. وقالت :

ـ ولكن من المؤكد أن هذا الأمر .. خارج عن مقدرتك العلمية .. فكيف نستطيع التصرف ؟

أجابها الدكتور (رأفت) مؤكدًا .. بلهجة العارف .. الخبير :

ـ لا بالمرة .. إننى أستطيع ذلك بكل سهولة .. ولكنى أحتاج لمعدات أكثر .. ثم التقط دفتر مذكرات من جيبه ..

وأخذ يدون بعض البنود ..

وقال بسرعة :

ـ سوف أذهب إلى أقرب مكتب هاتف .. لأتصل بأحد أصدقائى .. لطلب هذه المعدات .

عاد الدكتور (رأفت) بعد ساعة ..

وقد ساد الظلام ..

كان الجسم الفضائى يتألق بشكل غريب فى الليل ..

استراحا قليلًا .. وتناولا العشاء ..

قالت (ميرفت) .. مقطبة .. متحيرة :

ـ ما معنى الرموز ؟ ثم هذا الرسم التخطيطى .. الذى تقول إنه يمثل المجرات .. ولكن السؤال المهم هو : من أين أتى هذا الجسم الغريب ؟

استرخى الدكتور (رأفت) فى مقعده الوثير .. وقال وهو يتطلع إلى عينيها الممتلئتين بالحيرة :

ـ إن مثل هذا الشىء لا يصل إلى كوكب الأرض كل يوم .. وأشك أن أى جسم يشبهه قد جاء إلى الأرض من قبل ..

ثم أخذ يفكر وهو مقطب الجبين ..

على ضوء المصباح الشاحب ..

قالت (ميرفت) وقد تذكرت أمرًا :

ـ قلت بأنه ربما يكون هذا الجسم .. قد أرسل عندما كان الكون فى طفولته .. قبل أن تتباعد المجرات ! ما الذى تعنيه بهذا ؟ وهل الكون يتمدد ؟

قال الدكتور (رأفت) .. وقد انبسطت عضلات وجهه .. وسرى عنه قليلًا :

ـ بالطبع ! وكنت أظن أنها حقيقة فلكية معروفة !

وقبل أن تجيب (ميرفت) .. استطرد الدكتور (رأفت) قائلًا بجدية :

ـ أتعرفين ما هى المجرة ؟

تسلطت على وجهها ابتسامة .. وقالت بثقة :

ـ حشد هائل من النجوم مثل شمسنا .. أليس كذلك ؟

قال الدكتور (رأفت) .. وكأنه يلقى محاضرة :

ـ تمامًا .. فشمسنا نجم متوسط الحجم .. يكوّن مع مائة بليون من النجوم الأخرى الأكبر والأصغر .. مجرة الطريق اللبنى .. وهى حلزونية الشكل وتدور حول محورها .. وهناك البلايين من هذه المجرات .. التى يطلق عليها جزر الكون الكبرى.. وقد لاحظ العالم الأمريكى (إدوين هابل) فى عام ١٩٢٩ .. أن كل المجرات تتباعد عن بعضها البعض .. بسرعات هائلة .. واستنتج من هذا أن الكون يتمدد ..

تساءلت (ميرفت) فى دهشة :

ـ ماذا يعنى هذا ؟

يشرد فى لحظات بعيدة .. ويقول :

ـ يعتقد علماء الفلك بأنه فى زمن موغل فى القدم .. منذ بلايين السنين .. كانت كل المجرات متجمعة فى مجرة واحدة عملاقة .. تحتوى على كل نجوم الكون .. ولكن ما الذى أدى إلى انفجار هذه المجرة الفائقة .. وظهور المجرات الفردية ؟

هناك عدة نظريات لتفسير هذا الأمر .. منها نظرية تقول بأن سبب الانفجار قوة الدفع فى المادة .. التى أطلق عليها (الثابت الكونى) ..

صمت الدكتور (رأفت) .. وحدق فى عينى (ميرفت) .. ثم أردف قائلًا :

ـ ... وأيًا كان السبب .. فقد انفجرت المجرة العملاقة .. وتناثر حطامها فى شكل مجرات أصغر .. أخذت تتباعد عن بعضها بتأثير

قوة الانفجار .. ومازالت .. حتى الوقت الحاضر .. وهكذا يتمدد الكون .

تريثت (ميرفت) قليلًا .. لتستوعب هذه المعلومات الفلكية ثم قالت :

ـ (رأفت) .. أى نوع من الكائنات صنعت هذا الجسم الفضائى ؟

أطرق الدكتور (رأفت) للحظات ثم قال وهو شارد الذهن :

ـ أعتقد أنها كائنات شديدة الذكاء .. إذ استطاعت أن تدرك أننا نعيش فى مجرة حلزونية .. وأن هناك العديد من المجرات فى الكون .. ويتضح هذا من الرسم التخطيطى على الجسم الفضائى ..

نهض الدكتور (رأفت) ..بقامته الطويلة .. وقال مبتسمًا :

ـ ... سوف أذهب إلى فندق العريش الدولى .. لأقضى الليل فيه .. ثم أعود فى صباح الغد .. لأكون فى استقبال المعدات الجديدة التى طلبتها ..

اتجه إلى الباب .. وقال فى صوت خافت .. جامد النبرات :

ـ ... غدًا .. سوف نكتشف سر هذا الجسم الفضائى .. والكائنات الغريبة التى أرسلته ..

ـ ٣ ـ

وفى صباح اليوم التالى ..

أخذت (ميرفت شهدى) تتفحص كومة المعدات .. باهتمام شديد ..

كانت تحتوى على علبة كبيرة مغلقة بها مواد كيميائية ..

ومجموعة من الأوانى المصنوعة من النحاس .. والزجاج المقوى ..

وعدد من القضبان المطاطية الصلبة ..

نظرت إلى الدكتور (رأفت) .. وقالت فى دهشة :

ـ هل هذه هى كل المعدات التى طلبتها ؟ كيف يمكنك استخدامها لصهر القوة المتجمدة لهذا الجسم الفضائى ؟

صمت الدكتور (رأفت) للحظات .. ثم قال ببطء .. وتعبير غريب فى عينيه :

ـ لا أدرى !

فغرت فاها وصاحت وهى تتأمله بعمق :

ـ لا تدرى ! ألم تقل لى إنك تستطيع فتح الجسم الفضائى بكل سهولة !

قال العالم الفلكى وشفتاه تختلجان :

ـ أتذكر .. أننى كنت أعرف تمامًا ماذا أفعل .. لهذا كتبت قائمة بالمعدات المطلوبة .. ولكنى الآن ليست لدىَ أية فكرة عن كيفية التعامل مع هذا الجسم الغامض !

تهالكت (ميرفت) فوق المقعد .. وهى تنظر إلى الدكتور (رأفت) بذهول ..

نهضت ثم قالت وهى أقرب إلى التجهم .. والعبوس :

ـ فلنأخذ هذه المعدات إلى مكان الجسم الفضائى .. ربما تتذكر هناك .. الخطة التى نسيتها ..

★ ★ ★

وجدا الجسم الفضائى ما يزال يومض ..

برغم الشمس الساطعة فوق الشاطئ ..

وبمجرد أن وضعا المعدات بجانب الجسم ..

انفجر الدكتور (رأفت) ضاحكًا .. وقال بمرح :

ـ بالطبع .. يمكننى أن أتعامل مع القوة المتجمدة لهذا الجسم .. إنه أمر غاية فى السهولة .. لا أدرى ما الذى حدث لذاكرتى !

حدقت (ميرفت) فى وجهه .. وقالت فى تعجب :

ـ هل تذكرت ؟!

قال الدكتور (رأفت) بلهفة :

ـ لا تضيعى الوقت ! أسرعى وأعطينى الوعاء الكبير الذى يحتوى على أكسيد الباريوم .. وثلاثة من الأوانى النحاسية .. وإناء زجاجى .. وأحد القضبان المطاطية ..

أخذ الدكتور (رأفت) يعمل بكل ثقة .. وكفاءة .. مع المواد الكيميائية .. وقد بدأت تتفاعل فى الأوعية .. ويصدر عنها رغاوى ملونة ..

فجأة .. خطرت بذهن (ميرفت) فكرة غريبة ..

قالت للدكتور (رأفت) .. وقد شاعت الحماسة فى وجهها الرصين :

ـ رأفت .. أريد أن أريك شيئًا .. بقرب المنزل ..

نظر إليها غاضبًا .. محمر الوجه .. وقال فى حدة .. محتجًا :

ـ إنك تضيعين وقتى الثمين .. إننى أوشك على الانتهاء .

قالت له فى إصرار :

ـ إنه أمر هام !

سارا معًا فى الطريق المؤدى إلى المنزل ..

وعندما أصبحا على بعد حوالى مائتى متر .. من الجسم الفضائى ..

قالت (ميرفت) باسمة :

ـ هل مازلت تعرف .. كيف تفتح الجسم الفضائى ؟

ظهر الغضب الشديد على وجه الدكتور (رأفت) .. وقال بقمة انفعاله :

ـ بالطبع أنا ...

ثم توقف فجأة .. والرعب يغشى وجهه ..

رعب أعمى .. من شىء مجهول ..

صاح الدكتور (رأفت) .. وقد لمعت عيناه :

ـ .. الآن لا أعرف .. ولكن منذ دقائق كنت واثقًا من معرفتى بكيفية فتح الجسم الفضائى !

قالت (ميرفت) فى ثقة :

ـ عندما تكون هناك عند الجسم الفضائى .. تعرف تمامًا كيف يمكن فتحه .. معلومات علمية خارج نطاق الفكر البشرى .. ولكن بمجرد أن تبتعد عنه .. فإنك لا تعرف عنه أكثر مما يعرف أى عالم آخر .. هل تدرى معنى هذا ؟

قال الدكتور (رأفت) ببطء .. وضربات قلبه تتزايد :

ـ هل تعنين أن هناك شيئًا ما .. داخل الجسم الفضائى .. يعطينى المعلومات التى تؤدى إلى فتحه ؟.. لأنه لا يستطيع أن يفتح الجسم من الداخل .. بنفسه ! ولعدة لحظات ..

وقفا فى الصباح المشرق ..

ينظران إلى بعضهما .. فى حيرة ..

قال الدكتور (رأفت) .. وهو يمشط بأصابعه شعر رأسه القصير .. الفاحم السواد :

ـ هيا بنا نعود .. فإذا اقتربنا من الجسم الفضائى .. وتذكرت الطريقة التى يفتح بها .. كانت نظريتك صحيحة ..

وعندما اقتربا من الجسم الغامض المتألق ..

تكونت فى ذهن الدكتور (رأفت) فجأة .. الطريقة التى يفتح بها ..

نظر إلى (ميرفت) بعينين مرهقتين .. وقال بصوت خافت :

ـ أنت على حق يا(ميرفت) .. إننى أعرف الآن .. كيف أفتح الجسم الفضائى !

لا شك أن هناك كائنًا ما مسجونًا فى داخل هذا الجسم .. يحاول أن يحصل على حريته ..

خيم عليهما خوف .. ورعب .. شديدان ..

قالت (ميرفت) وقد جمد الدم فى عروقها .. وتصلب جسدها رعبًا :

ـ هيا بنا .. نبتعد عن هذا الجسم .. أسرع ..

وما أن تحركا لعدة خطوات نحو المنزل ..

حتى جاءت كلمة واحدة فى ذهن الدكتور (رأفت) ..

كانت واضحة تمامًا .. داخل عقله .. .

ـ انتظر !

بدت الكلمة .. كرجاء أو استعطاف .. داخل عقله .. ولكنها كانت من القوة بحيث شعر كأنه سمعها بأذنيه ..

نظرت إليه (ميرفت) وهى مشدوهة :

ـ لقد سمعتها أيضًا !

عاد الصوت الغريب يتحدث :

ـ انتظر لا تذهب .. اسمعنى على الأقل .. دعنى أشرح لك .. قبل أن تغادر المكان ..

صرخت (ميرفت) .. وقد تفجر العرق البارد يغمر عنقها من الخوف :

ـ دعنا نهرب قبل فوات الأوان .. مهما كان هذا الشىء .. فهو ليس إنسانيًا .. إنه يأتى من عالم آخر .. من الفضاء الخارجى ..

قال الدكتور (رأفت) .. ووجهه ملىء بالانفعالات :

ـ لن أهرب يا (ميرفت) .. إننى عالم .. وأسعى دائمًا للمعرفة .. لأشبع فضولى العلمى .. كلا .. لن أغادر هذا المكان .. سأبقى بجانب الجسم الفضائى .. لأعرف سر هذا الكائن ..

فكرت قليلًا فى المجد الصحفى الذى ينتظرها .. والشهرة .. قالت مستسلمة :

ـ سوف أظل معك يا (رأفت) .. ولكن أرجوك لا تفتح الجسم الفضائى .. قبل أن نعرف المزيد عن الكائن المسجون داخله !

نظر الدكتور (رأفت) إلى شمس الظهيرة ..

التى بدت فجأة .. كشىء غامض .. غير حقيقى ..

وكأنها نجم مضىء .. فى مجرة أخرى !

اتجها ببطء نحو الجسم المتعدد الأسطح .. المتوهج ..

وعندما اقتربا ..

بدأت الأفكار تتضارب فى عقليهما ..

عما فى داخل هذا الجسم الفضائى .. الغامض ..

جاءت الكلمات فى ذهن الدكتور (رأفت) .. حادة .. واضحة :

ـ اقترب أكثر من الجسم .. إننى أبذل جهدًا عقليًا شاقًا .. حتى تجتاز أفكارى هذه القوة المتجمدة !

همست (ميرفت) بنبرات راجفة :

ـ تذكر .. أنه مهما قال لنا .. أو قدم وعودا .. فلا تفتح هذا الجسم !

رد الدكتور (رأفت) بصوت خافت :

ـ إننى أخاف من فتح الجسم الفضائى .. تمامًا مثلك .. فلا تقلقى ..

★ ★ ★

بدأت الرسائل الفكرية تصل إلي عقليهما .. أكثر وضوحًا :

ـ إننى سجين هذه القشرة ذات القوة المتجمدة .. كما سبق وقمتما بالتخمين .. منذ زمن بعيد جدًا .. أطول مما توقعتما .. إننى فى حاجة لمساعدتكما .. ولكنى أشعر أنكما خائفان منى .. سأروى لكما قصتى .. لتطمئنا ..

صمت الصوت الغريب للحظات ثم أردف قائلًا :

ـ سوف تفهمان على الأقل جزئيًا .. لأن أفكارى سوف تصاحبها انطباعات بصرية ..

فجأة .. أحسا وكأن العالم يتلاشى من حولهما ..

واختفى فى لحظات .. الجسم الفضائى .. والشاطئ .. والبحر الممتد بلا نهاية .. وبدلًا من أن يقفا فى ضوء الشمس ..

أصبحا معلقين فى عمق الكون ..

دون ضوء .. ودون هواء ..

كل شىء حولهما .. فراغ مظلم .. وخواء ساكن ..

وأمامهما .. ظهرت حشود من النجوم ..

بلايين .. وبلايين ..

ذات ألوان براقة .. أبيض .. وأصفر .. وأزرق .. وأحمر ..

كلها تسبح فى الكون ..

فى وحدة واحدة ..

إنها المجرة العملاقة .. الفائقة ..

ثم شاهد الانفجار الأعظم ..

وكأنه يحدث على ارتفاع شاهق ..

السحابة النجمية الجبارة .. الدوارة ..
تتفتت وتنطلق منها حشودًا تلو الأخرى ..
من النجوم المتألقة ..
تندفع فى أركان الكون ..
ولدت المجرة العملاقة .. الأم .. عددًا هائلًا من هذه المجرات الجديدة .. الصغيرة نسبيًا ..
ولم يتبق فى آخر الأمر ..
سوى القلب الداخلى للمجرة الفائقة ..
وكانت هناك مجرة وحيدة .. ذات شكل حلزونى ..
نتيجة لدورانها فى الفضاء ..
ثم انتشر فوق أحد كواكبها .. مرض معيت ..
وكان آخر حشد من النجوم النظيفة غير الموبوءة بالمرض ..
قد انطلقت مبتعدة عنها ..
مثلما فعلت الحشود النجمية الأخرى ..
وفجأة .. تغيرت الانطباعات البصرية ..
وظهرت بعض الطقوس والمحاكمات .. فوق أحد الكواكب .. بمجرة بعيدة ..
وصدر الحكم بإدانة أحد الكائنات ..
وتم سجنه فى جسم من القوة المتجمدة ..
صنعت خصيصا بحيث يستحيل عليه .. أن يفتحها من الداخل ..
وأطلقت هذه القذيفة .. متعددة الأسطح ..
لتصل إلى المجرة المصابة بالمرض ..

رأى الدكتور (رأفت) هذا الجسم الفضائى .. ينطلق فى مدارات دائرية .. حول المجرة .. الطريق اللبنى ..
لعدد كبير جدًا من السنين ..
ثم يستقر فوق كوكب الأرض ..
أما بلايين المجرات الأخرى .. فظلت تبتعد أكثر فأكثر ..
عن هذه المجرة المصابة بالمرض الكونى ..
مجرة الطريق اللبنى ..

ـ ٤ ـ

شاهد الدكتور (رأفت) و(ميرفت) ضبابًا رماديًا .. يتكاثف ..
وأخذا يفقدان قدرتهما على الإبصار ..
وأدركا فجأة .. أنهما يقفان بجانب الجسم الفضائى .. فى ضوء شمس الظهيرة .. وهما مصابان بالدوار ..
وخيالهما سابح فى عالم آخر ..
وجد منذ بلايين السنين ..
ركع الدكتور (رأفت) .. وأخذ يضع المحاليل الكيميائية .. فوق الجسم الفضائى..
صاحت (ميرفت) فى رعب :
ـ (رأفت) .. أرجوك .. لا تفعل هذا !
كان الدكتور (رأفت) ينظر ـ وهو فى حالة نصف يقظة ـ إلى أسفل بانبهار شديد .. إلى الشىء الذى كان مستغرقًا فى إتمامه ..
صرخت بقوة .. وهى تشعر بتصلب فى حلقها :
ـ حطمه !.. إن الكائن الموجود داخل الجسم متعدد الأسطح .. شد أنظارنا برؤى المجرة العملاقة .. وتباعد المجرات .. حتى يدفعنا دون أن ندرى للعمل على إطلاق سراحه ..

وبمجرد أن تلاشت صرخات (ميرفت) ..
كانت يدا الدكتور (رأفت) .. قد نجحت فى فتح ثغرة فى الشكل المتعدد الأسطح .. حيث انطلق منها فجأة .. شعاع أصفر .. متألق .. كثيف ..
حطم الجسم الفضائى تمامًا ..
ثم انتشر وميض أبيض فى الحال ..
وغطى الجسم المتلألئ ..
وبينما كان الدكتور (رأفت) و(ميرفت) .. يحدقان فيه بذهول ..
وجداه ينصهر .. ويذوب .. فى الوهج الشديد .. الزعفرانى اللون ..
انصهرت الجوانب السطحية .. البارزة .. للقوة المتجمدة ..
وتلاشت فى لحظات ..
وبعد ذوبان قفص السجين ..
انطلق السجين الرهيب .. الذى كان محبوسًا داخله ..
لعدد طويل من السنين ..

★ ★ ★

لذا لهما شبح ذلك الكائن المهيب .. فى الظلمة المفاجئة ..
كعمود من اللهب المتوهج طوله أربعون مترًا .. لونه أزرق داكن ..
وعلى قمته قرص ضوئى ..
وعند انطلاقه من سجنه .. تضاءل ضوء الشمس التى توشك على الغروب ..
ثم تحرك الكائن فى حركة دوامية فائقة السرعة ..
فى فرحة .. غريبة .. هائلة ..
فى هذه اللحظات .. صرخ الدكتور (رأفت) و(ميرفت) .. فى رعب ..
فقد أصيبا بالعمى المؤقت .. بسبب الضوء المبهر ..
وبتأثير العمود الوماض ..
انبعثت فى ذهنيهما .. موجة مروّعة ..

من الابتهاج بالحرية ..
والتحرر من السجن ..
فرحة أكبر من أى تصور بشرى ..
كانت أنشودة الشكر .. التى صدرت من هذا الكائن الغريب ..
ليس بالصوت .. ولكن بالفكر ..
لقد سُجن هذا الكائن .. وعزل عن الكون .. دهرًا وراء آخر ..
وهو الآن قد تحرر .. ويحتفل ببهجة انتصاره ..
ولم يلبث الكائن .. أن أخذ شكلا غامضًا فى الإظلام المفاجئ ..
دوامات متتالية .. بكل ألوان الطيف ..
كتعبير عن الجنون الذى لا يطاق ..
للنشوة الكونية ..
ثم انطلق فى لمح البصر .. إلى أعماق الفضاء ..
كما لو كان صاعقة .. أو برقًا ..
توقف عقل (ميرفت) عن التفكير ..
ترنحت فى حالة من فقدان الوعى ..
وسقطت مغشيًا عليها ..

ـ ٥ ـ

فتحت عينيها ببطء شديد ..
فى الضوء الخافت للمصباح الكهربائى ..
كانت ممددة فى فراشها .. بحجرتها ..
وفى مكان ما .. بالقرب منها ..
أخذ صوت معدنى يتحدث ..
عرفت لتوها أن هذا الصوت .. صادر عن مذياعها الصغير الترانزستور ..
ظلت راقدة بلا حراك .. وهى لا تتذكر شيئًا ..
وبين النوم واليقظة .. سمعت الصوت المنفعل :
ـ .. إن المساحة التى تأثرت تُمتد ـ بحسب ما هو متاح لنا من معلومات ـ من شمالًا حتى منفلوط جنوبًا ومن الواحات البحرية غربًا حتى شرقًا .. واستمر ذلك لمدة نحو ثلاث دقائق .. وغمر المنطقة كلها .. ككسوف تام لضوء الشمس الغاربة .. وتولدت حرارة هائلة فى نفس الوقت .. ثم توقفت جميع الأجهزة الكهربائية عن العمل .. وكذلك الاتصالات الهاتفية والبرقية .. وقد أبلغ بعض المواطنين الذين يعيشون فى العريش وبورسعيد والقنطرة والزقازيق .. عن حدوث بعض التأثيرات البدنية أو المادية .. وشمل ذلك الشعور المفاجئ بالسعادة الطاغية .. وحلول الظلام التام فى أثناء ذلك .. ثم فقدان الوعى لفترة قصيرة .. وحتى الآن لا يعرف أحد السبب فى هذه الظاهرة المحيرة .. وربما يرجع ذلك إلى حدوث بقعة شمسية مفاجئة .. وسوف نحاول تعرّف آراء علماء الفلك فى هذا الشأن .. وبمجرد وصولها ..

كانت (ميرفت) تجاهد فى ذلك الوقت بضعف ..
لكى تتمكن من الجلوس ..
وهى تقبض على قائم فراشها ..
نادت بصوت مرتفع .. أعلى من الصوت المعدنى للمذياع :
ـ (رأفت) .. (رأفت) ..
جاء الدكتور (رأفت) مسرعًا ..
كان وجهه شاحبًا ..
وحركاته غير متزنة تمامًا ..
إلا أنه لم يكن مصابًا بأى سوء ..
قال بضعف .. متلهفًا :
ـ لقد عدت إلى وعيى قبلك بفترة وجيزة .. وحملتك إلى فراشك .. هل أنت بخير ؟
صاحت (ميرفت) .. وقد توترت عضلات وجهها :
ـ إن ذلك الكائن هو الذى تسبب فى الظلام .. والظواهر الأخرى التى سمعت عنها .. أليس كذلك ؟
أومأ الدكتور (رأفت) برأسه موافقًا .. ثم قال بصوت خافت :
ـ لقد كان كائنًا ذا قوة جبارة .. أدى انفلاتها من عقالها .. إلى إخماد الإشعاعات الحرارية .. والضوئية للشمس .. وكذلك التيارات الكهربائية للآلات .. وحتى النبضات الكهربائية العصبية للعقول البشرية ..
قالت (ميرفت) .. وابتسامة تنطوى على الشك فوق شفتيها :
ـ هل انتهى حقًا كل هذا !؟
رد الدكتور (رأفت) بهدوء .. ليطمئنها :
ـ أجل .. لقد تلاشى كل شىء مع الكائن .. فى عمق الكون بين

المجرات .. وذهب يلاحق المجرات التى تبتعد عن مجرتنا .. إنه يبحث عن وطنه ..

تأملته بصمت .. ثم قالت فى حيرة :

ـ هناك شىء لم أستطع تفسيره .. فى أثناء الانطباعات البصرية .. عندما تردد ذكر المجرة المصابة بالمرض الكونى .. ماذا يعنى هذا ؟

قطّب الدكتور (رأفت) جبينه .. وقال فى كلمات متمهلة :

ـ ربما يقصدون .. أن كوكب الأرض .. وهو جزء من مجرة الطريق اللبنى .. قد سرى فيه الشرور .. والحروب .. والخطايا .. إن كل هذا يمثل مرضًا كونيًا .. ولهذا تتباعد كل المجرات عنّا ..

★ ★ ★

يمسك بيدها .. ويتأملها مليًا .. ويغمره عبيرها ..

وتحلق نفسه مع الشعور الجارف ..

تلتقى أعينهما .. فى لحظات رائعة انعدم فيها الزمن ..

يهمس بحنان :

ـ لو تعلمين كم أحبك !

يتألق وجهها .. وتتمتم حالمة .. ويرنم صوتها الدافئ :

ـ أتمنى أن يزول كل الشر من هذا العالم .. ويسود الحب .. والخير .. والسلام .. فى كل كوكب الأرض .. حتى تقترب منّا المجرات المتباعدة .. ونبرأ من المرض الكونى ..

تسبل (ميرفت) أهدابها .. فى أمل ..

ويتوهج نجم فى السماء ..

★ ★ ★

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

سر كتاب الموتى

هذه رحلات مثيرة أخرى .. فى عالم الخيال العلمى ..

- رحلة إلى محطة فضاء فى عمق الكون .. يعمل بها روبوتات .. يعبدون أخناتون .. داخل معبد فرعونى كبير !
- ورحلة إلى ستين مليون سنة فى الماضى لصيد الديناصورات الهائلة .. أشرس حيوانات التاريخ !
- وأخرى إلى المستقبل البعيد .. عندما لايبقى فى العالم كله .. إلا ثلاثة روبوتات!
- ورحلة رابعة إلى كوكب الرعب .. أورانوس .. وصراع مميت .. ضد كائن رهيب !
- بالإضافة إلى حل اللغز القادم من الفضاء .. سيف هائل يتجه إلى السماء !
- ومغامرات أخرى من الخيال العلمى ..

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع الأمير سالم بالعباسية - القاهرة - ت: ٨٤٥٥٠٩

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- سرّ كتاب الموتى ٥
- حلم .. إلى الأبد ٢٩
- الطاعون ٤٩
- رحلة لصيد الديناصورات ٧٥
- لغز .. من الفضاء ٩٩
- الصدأ .. والموت ١٢١
- المرض .. الكونى ١٤٥